الحوار النبوي الاعتقادي الفكري
مع المخالف والمستفهم وأثره في الإيمان والأمن

د.خالد بن ناصر حسين الغامدي(*)

المقدمـــــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أما بعد :

فلقد قدر الله اختلاف الثقافات والأديان والأفهام وجعله سنة كونية فقال تعالى ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾١١٩﴾ (هود)، مما أوجب علينا الحوار بين الديانات والثقافات المختلفة للتعارف وإيجاد نوع من التفاهم والتعايش وهو ما تحقق بشكل عملي منذ أيام الرسول الكريم. ولقد دعا الرسول إلى التوافق والتقارب والحوار الذي تمكن به من الوصول إلى قلوب الناس بالحكمة البالغة والموعظة الحسنة ومتخذاً من الحوار الهادئ الهادف البناء منهجاً يوميا مع كل الناس بلا استثناء ، رافعاً الشعار الوارد في الآية القرآنية ﴿ . . تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾٦٤﴾ (آل عمران).

هذا الحوار الذي يدعو إلى الحقيقة المتمثلة في التوحيد في أعلى مستوياته حيث إن النبي أسلوبه في الحوار كان واسع النطاق إلى حد دعوة الغير إلى البرهنة على ما يعتقدون إذا كان هذا الغير يعتبر التوحيد مجرد ادعاء، يقول الله تعالى في كتابه العزيز على لسان

(*) عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

رسـوله الكريم ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴿٢٤﴾ (سـبأ) مربياً جميع هذه الأمة بل والعالم ككل على هذه الطريقة المَسلكية الراقية .

وفي العصر الحديث عظم الاهتمام بـ(الحوار) واهتمت المجتمعات بل والشـعوب والحكومات به ولهذا الاهتمام أسباب وجيهة تلخيصها في أوجه عدة:

ـ كونـه مفتـاح التواصل الحضاري الـضروري بين الناس، ووسـيلته المثلى، ومجال اسـتثماره الأنفـع، لا سـيما وأن مسـافات الاتصال بين سـاكنة العـالم لا تزداد إلا ضمورًا.

ـ أن الحـوار من أعظم الوسـائل فائدة، وأنجعها في تبليـغ مذاهب التفكير، وإقناع المخالف، وإفحام الخصم المعاند...

أن الحـوار اليـوم هو أنجع طريقة لإرجاع الحقوق وتسـوية الخلافات واسـتتباب الأمن والسلام في الأمم والمجتمعات.

ولقد اشـتدت العناية بالحوار لما دعت الحاجة إلى الحديث عن وسـطية الإسـلام، وأنـه بـراء مما يضاف إليـه وإلى أهله من مزاعم التطرف والتشـدد، فكثر التأليف في بيان فضـل الحـوار ولزومه، وحظي باهتـمام العلماء والدعاة، والمفكريـن ذوي التخصصات الشرعية والسياسية والاجتماعية والأدبية، وغيرها، ولا تزال تعقد تحت شعاره الندوات في الجامعات والمنتديات، وتنشـغل به منابرُ الإعلام المختلفة؛ لا سـيما القنوات الفضائية ومواقع الإنترنت العامة والخاصة.

ولو رجعنا إلى تراثنا لوجدنا أن الحوار والتخاطب مع الثقافات يشـكل جانباً مهماً وأن السـفارات والمراسلات الدبلوماسية في حضارتنا وإرثنا الثقافي كان الهدف الأصلي منها الدعوة إلى الله تعالى، كما كانت رسـالة سـليمان إلى بلقيس، وكما كانت رسائل النبي إلى ملوك عصره وحكامه المعروفين على الساحة الدولية آنذاك، ولا بأس أن نذكّر بطرف من هذه الرسائل بوصفها صورة مناسبة لذلك العصر ـ ولعصرنا كذلك ـ لإقامة الحوار مع الآخر بالحسنى ، منها رسالة النبي إلى هرقل.

ذكر الطبري في أحداث السنة السادسة للهجرة خروج رسل رسول الله إلى الملوك

والأمراء، وذكر ابن سعد في الطبقات رسلاً كثيرين أرسلهم النبي إلى الملوك والأمراء المؤثرين في ذلك الوقت على كثير من الأحداث، وكانت الرسل إلى هؤلاء على النحو الآتي:

١ـ دِحْية بن خليفة الكلبي أرسله النبي إلى قيصر ملك الروم.

٢ـ عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس.

٣ ـ حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس حاكم مصر.

٤ ـ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي حاكم الحبشة.

٥ ـ سليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن علي الحنفي صاحب اليمامة.

٦ ـ شجاع بن وهب إلى الحارث بن أبي شمر الغساني في دمشق.

٧ ـ العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى صاحب البحرين.

٨ ـ عمرو العاص إلى جَيْفر بن جُلَنْدى وأخيه صاحبي عُمان »[1].

وهذه المحاور تمثل الدوائر الأكثر قرباً إلى الدعوة الناشئة، وقد أصبح أكثرها بعد قليل في حوزة الدولة الإسلامية، وهذه الدوائر نفسها شغلت حيزاً غير قليل من قصص القرآن وأحداثه تأكيداً على عالمية الدعوة، ففيها قصص سبأ والأخدود، وقصص الأنبياء في الشام أرض النبوات، ومصر التي زارها إبراهيم وعاش فيها يوسف وأبواه وإخوته وموسى وهارون.. وأحداث انتصار الفرس على الروم ثم الدولة للروم عليهم كما في أوائل سورة الروم.. هذه الدوائر الجغرافية هي التي تحرك الرسول فيها بادئ الأمر سياسياً وإعلامياً برسائله إلى الملوك والأمراء لفتح باب الحوار والدعوة إلى الله بالحسنى وتعريف الآخر بالحضارة الناشئة وأسسها الثابتة.. ثم تابع الخلفاء من بعده تحركهم فيها عسكرياً وسياسياً لنشر دين الله في الآفاق.

وفي نهاية هذه التقدمة أود الإشارة إلى أن البحث جاء في مقدمة وخمسة فصول وخاتمة وفهارس على النحو التالي:

مقدمة

أولاً: الحوار ماهيته ـ غاياته ـ أصوله الشرعية

(١) تاريخ الطبري ٢/ ٦٤٤ -٦٤٥، الطبقات الكبرى ١/ ١٧٥ وما بعدها

١ ـ غاية الحوار مع المخالف وأهدافه

٢ ـ أصول عقدية وشرعية وعامة في الحوار

٣ ـ نماذج من حوارات الله والأنبياء

ثانياً: الحوار مع المخالف والمستفهم المسلم

١ ـ الحوارات الفردية.

٢ ـ الحوارات الجماعية.

ثالثاً: الحوار النبوي مع المخالف والمستفهم من أهل الأديان

١ ـ الحوار مع اليهود

٢ ـ الحوار مع النصارى

رابعاً: الحوار النبوي مع المخالف المشرك

١ ـ الحوار النبوي مع أفراد من المشركين

٢ ـ الحوار النبوي الاجتماعي الإيماني مع أهل الشرك

٣ ـ الحوارات النبوية مع جماعات المشركين في مكة

خامساً: الحوار النبوي مع المخالف المشرك المحارب

الخاتمة

أولاً: الحوار ماهيته ـ غاياته ـ أصوله الشرعية

من الأمور البدهية التي يعلمها الناس اليوم حقيقة الحوار وكنهه وأنه يعني التفاهم بين طرفين على قضية ما ، أخذاً من قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾١ (المجادلة) ، فهو أخذ ورد وجدل بين طرفين أو جهتين لهما وجهة نظر قد تختلف ، ويقصد بالحوار والجدل إظهار الحجَّةِ ، وإثبات الحق.

وبالرجوع إلى معاجم اللغة العربية يتبين لنا أن الحوار أصله اللغوي (حارَ) والحور هو الرجوع والتردد[1] ، وحور «من حارَ يَحُورُ إذا رجع»[2]

كَذلك حَارَ عَلَيْه«أَي رَجَع إِليه ما نَسَب إِليه . وكلُّ شَيْءٍ تَغَّيَرَ منْ حَال إِلىَ حالٍ فقد حَارَ يَحْور حَوْراً . قال لَبيد :

وما المَرءُ إلا كالشَّهَاب وضَوْئه ... يَحُورُ رَمَاداً بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ[3]

و حَاوَرْتُهُ ، راجعته الكلام وتَحَاوَرَا و أَحَارَ الرجل الجواب بالألف ردّه و مَا أَحَارَهُ ما ردّه[4] ، فلفظ ومادة حار وحور تدل على التردد بين شيئين أو أمرين .

وبالفعل هذا ما يجري بين المتحاورين من تردد الكلام ووجهات النظر للوصول إلى حد من التفاهم والالتقاء.

١ ـ غاية الحوار مع المخالف وأهدافه

يقول بعض علماء التربية إن الحوار عملية فكرية عقلية نفسية يقوم بها أطراف على خلاف أو وجهات نظر متباينة ، يقرب بها البعض من مجادله للوصول إلى حل أو نتيجة ترضي الأطراف المتجاورة ، ولذا فإن الحوار له غايات وأهداف يرام منها التحقق ، ومن تلك الأهداف والغايات:

- الوصول إلى الحق. وهذا الهدف غاية العقلاء ونقطة الارتكاز التي يتمحور حولها الحوار ، وهي الأمر الرئيس والمفتاح لحل المشكل المطروح.
- الأخذ بأرجح رأي. إذ قد تتعدد الآراء وتتقارب الآراء الصالحة وتختلف حولها وجهات النظر والحوار يقرب ويقرر الأخذ بالأرجح.
- تقريب وجهات النظر وتضييق هوة الخلاف.

---

(١) انظر لسان العرب ،تاج العروس مادة (حور ، حار).
(٢) لسان العرب ٤/ ٢١٧.
(٣) تاج العروس ١ / ٢٧٢٩.
(٤) المصباح المنير ١ / ١٥٦

٢ ـ أصول عقدية وشرعية وعامة في الحوار

لاشك أن الحوار يجمع وجهات نظر مختلفة تماماً وأحيانا متضادة ومتنافرة ، وحينئذ لابد من مرجع أو أصول يتحاكم إليها وباعتبارنا مسلمين ننتمي إلى هذا الدين الحنيف فيجب أن نتحاكم إلى أمر يكون هو الفيصل في الحوار والمناظرة ومن تلك الأصول:

- تحديد أصل الإشكال الذي يجمع بين الأطراف المتحاورة. إذ لا بد أن يحدد ذلك الإشكال وتحدد نقاط المحاورة ليثمر هذا الحوار.
- الاتفاق على أصل يرجع إليه . ونحن في أمة لإسلام لنا أصولنا الحقة التي نرجع إليها وهي الكتاب والسنة، وما كان عليه السلف حيث قال تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴿٥٩﴾ (النساء).
- مناقشة الأصول المختلف فيها قبل الفروع. وهذا من أسباب إنجاح الحوار ولا شيء أفسد للحوار والمناظرة من مناقشة الفرعيات قبل الأصول ، وإذا تم الاتفاق على الأصول المختلف فيها فعندها يحسن الابتداء بالحوار.

٣ ـ نماذج من حوارات الله والأنبياء

ليس الغرض من إيراد هذا الفصل استقصاء جميع الأدلة والحوارات التي وردت في القرآن والسنة من حوارات إلهية ونبوية وإلا لطال بنا المقام جداً ، إذ هذا الفصل يحتمل بحثاً كاملاً مستقلا بنفسه ،، وإذا جئنا إلى تأسيس ووضع قواعد للحوار فيها الحوار الإلهي النبوي أساسه ، ومن البدهيات أن الحوار لا يكون إلا بين مختلفين، والله سبحانه أمر بالمجادلة بالتي هي أحسن حتى مع أهل الكتاب ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴿٤٦﴾ (العنكبوت) حتى المخالف في الأصول يهودياً أو نصرانياً أو بدعياً ؛ فإنه يمكن محاورته ، بل يجب على القادرين محاورته بالتي هي أحسن، والله تعالى ذكر في القرآن الكريم ما دار بين ربنا ـ تبارك وتعالى ـ في خطابه لإبليس:﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴿٧٦﴾ (ص) ، أليس خالق الكون من العدم وخالق إبليس قادر على إفنائه بلفظ كن فيكون لا شيء ، يذهب هباء كأن لم يكن؟! أليس لله حكمة في تعليمنا أن القوي مهما بلغ من قوة وجبروت لا

بد أن يحاور الضعيف مهما كان كالخاسئ كإبليس ، وهو أعلم بما يقول قبل أن يقول ، لا شك أنه درس كبير لنا معاشر البشر أن نتفاهم ونتحاور وأن نتجاوز في بعض الأحيان عن بعض ما يغيظنا ؟ وكذلك الكلام على حواره مع الملائكة الكرام: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴿٣١﴾ (البقرة).

وهذا نموذج راق لمشاروة الكبير العليم الحكيم لمن هو أقل منه شأناً ، بل هو عبد من عبيده ، وهم جنس الملائكة الكرام عليهم السلام.

ولما اقترف آدم وزوجه عليهما السلام الخطيئة وأكلا من الشجرة، حاورهما الرب ـ وهو أعلم بما سيفعلان وبما فعلا ـ حواراً رقيقاً وعاتبهما عتاباً ودوداً لعلهما يستعتبان فيعتبهما فقال: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴿٣٢﴾ قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴿٣٣﴾ (الأعراف)، لم يبطش كما نفعل نحن عند أول خطأ ، ولم يعنف كما نفعل عند أول هفوة ، بل حاور وتساءل وعلم وأدب ، وكل ذلك في سياق تعليمنا نحن البشر هذه القيم النبيلة التي هي نموذج ـ إلهي نبوي ـ حي في التعاتب والاستعتاب.

فالآدمي البشري يعتذر ويتوب ويرجع إلى الحق ـ وهذا من ثمرات الحوار النبيل ـ. والإبليسي يعاند ويكابر، والآدمي يرجع ويتوب ويعترف بخطئه في الدنيا ويرجع عنه قريبًا ويحب المولى أن يبيّن له؛ فإن الله تعالى يستره في الدار الآخرة، ولهذا يقول النبي ﷺ ـ كما في حديث النجوى ـ من حديث ابن عمر: «يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيدنيه، فيقول: أعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم. ويقول: عملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم. فيقرره ثم يقول الله عز وجل: إني سترت عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم»[1]، وفي رواية أخرى «فيعطى كتاب حسناته»[2].

(١) أخرجه البخاري ٦/ ٢٦٢٧ ، رقم: ٧٠٧٦ ، وأحمد في المسند ٢/ ١٠٥ ، رقم: ٥٨٢٥ ، وابن ماجه ١/ ١٦٥ ، رقم: ١٨٣ ، وأبو يعلى في المسند ١٠/ ١٢٢ ، رقم: ٥٧٥١.

(٢) أخرجه البخاري ٢/ ٨٦٢ ، رقم: ٢٣٠٩

حوار بناء وهادئ واستعتاب لطيف من رب العالمين للعبد حتى بعد البعث والنشور وقبل الجنة والنار ، أي دين حواري متفاهم يعلمنا هذه القيمة الأخلاقية الكبيرة؟

وهذا ربنا يعلمنا أن نجادل الكافرين والمعاندين بالحسنى وبالدليل العقلي والمنطقي الواضح ، فقال :﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴿١١١﴾ (البقرة و النمل ٦٤)، وفي أكثر من سورة: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴿٢٤﴾ (الأنبياء)، قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴿٩٣﴾ (آل عمران) ، إن من أهم ما يتوجه إليه المُحاور في حوار مع الآخرين المخالفين ، التزام الحُسنى في القول والمجادلة ، ففي محكم التنزيل : ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴿٥٣﴾ (الإسراء) ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴿١٢٥﴾ (النحل) ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴿٨٣﴾ (البقرة) .

فعلى العاقل اللبيب أن ينأى بنفسه عن أسلوب الطعن والتجريح وأن يسلك سبيل الحوار بالأسلوب الراقي والرقيق في كثير من الأحيان.

وهذا ربنا الرحمن الرحيم يأمر نبيه ومن بعده أمته أن يتخذ من الحوار اللطيف الرائع المتطلع لآفاق الحق نبراساً وطريقة دائمة في الدعوة ومنهاج الحياة : ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴿٦٩﴾ (الحج) ، وقوله : ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴿٢٤﴾ (سبأ)، مع أن بطلانهم ظاهر ، وحجتهم داحضة ، ودينهم إلى زوال ورأيهم إلى ضلال.

ولو نظرنا نظرة عابرة إلى بعض حوارات الأنبياء في مواقفهم العامة لوجدنا الكثير منها فهذا سيدنا موسى يقول في قصته مع الخضر ـ بعد أن خالف الاتفاق سهواً ـ : ﴿لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴿٧٣﴾ (الكهف)، ويقول: ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴿٧٦﴾ (الكهف) .

وهذا عيسى يحاور ولا يعنف ولا يحقر ولا يعاقب : «رأى عيسى بن مريم رجلاً يسرق فقال له: أسرقت؟! قال: كلا، والله الذي لا إله إلا هو، فقال عيسى: آمنت بالله وكذبت عيني»[1].

(١) أخرجه البخاري ٣/ ١٢٧١ ، رقم: ٣٢٦٠ ، وأحمد في المسند ٢/ ٣١٤ ، رقم: ٨١٣٩ ، وابن حبان في صحيحه ١٠/ ١٧٩ ، رقم: ٤٣٣٦

ثانياً: الحوار مع المخالف والمستفهم المسلم

لو أراد كاتب أو مؤلف أن يستقصي حياة نبينا الكريم في قضية التخاطب وفن التحاور لما استطاع إلى ذلك سبيلا ؛ لأن حياة النبي في جملتها تدور على التخاطب والتحاور وفن التفاهم الراقي ، الذي يحقق النجاح تلو النجاح ويمنح المحاور اليقين والإيمان العميق بهذا الدين الحنيف ، ومن ثم ينعكس هذا أمناً وسلاماً وسكينة على من حاوره النبي ، وإذا أردنا تتبع أغلب تلك الحوارات النبوية مع المسلم المستفهم أو المخالف في وجهة نظره لطال بنا المقام ولاحتجنا إلى مجلدات عدة في بيان ذلك ولكننا سنورد بعض الأمثلة التي تبين ما ذهبنا إليه من فائدة وجدوى تلك الحوارات.

١ ـ الحوارات الفردية

الحوار النبوي مع أعرابي مستفهم

عن أبي أَيُّوبَ أَنَّ أَعْرَابِيّاً عَرَضَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي سَفَرٍ فَأَخَذَ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ أَوْ بِزِمَامِهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ؟.

قَالَ: فَكَفَّ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ وُفِّقَ أَوْ لَقَدْ هُدِيَ، قَالَ: كَيْفَ قُلْتَ؟ قَالَ: فَأَعَادَ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: تَعْبُدُ اللَّهَ لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ، دَعِ النَّاقَةَ »[1].

الدروس والعبر المستفادة:

- الحوار النبوي أظهر رحمة النبي ﷺ ورفقه حتى بالغرباء ومعترضي السبيل.
- لم ينشغل الرسول بالسفر ـ والمشغول لا يشغل ـ عن تساؤل واعتراض الأعرابي بل أجابه بكل أريحية.

(١) رواه مسلم رقم: (١٠٤).

• مـدح الرسـول للأعـرابي المتسـائل بقولـه: « لَقَدْ وُفِّـقَ أَوْ لَقَدْ هُـدِيَ » وهو ما يرفـع الروح المعنوية لأصحابه وله مما ينعكس نفسـيا عـلى أمن وإيمان وفكر كل السامعين.

حوار شاب حاول استباحة ما حرم الله:

في مجالـس الزعماء تحدث أحياناً حـوادث تدل على حنكة الزعيم وكفاءته ، ومدى قدرته لحل المشـكلات الطارئة ، وقد وقع في مجلس النبي حوادث منها استشـكال أحد المسـلمين ، فعـن أبي أمامـة قال أن فتى شـاباً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسـول الله ائذن لي بالزنا ، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا مه مه !!

فقال أدنه فدنا منه قريبا

قال فجلس قال أتحبه لأمك؟ قال لا والله جعلني الله فداءك.

قال ولا الناس يحبونه لأمهاتهم.

قال أفتحبه لابنتك؟ قال لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك.

قال ولا الناس يحبونه لبناتهم .

قال أفتحبه لأختك؟ قال لا والله جعلني الله فداءك .

قال ولا الناس يحبونه لأخواتهم.

قال أفتحبه لعمتك؟ قال لا والله جعلني الله فداءك.

قال ولا الناس يحبونه لعماتهم.

قال أفتحبه لخالتك؟ قال لا والله جعلني الله فداءك.

قال ولا الناس يحبونه لخالاتهم. قال فوضع يده عليه وقال اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء»[1]

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ٢٥٦ ، رقم: ٢٢٢٦٥ وصححه الأرنؤوط بهامشه .

الدروس والعبر المستفادة:

- تفهم النبي الكريم لشكوى الشاب ورأفته به حيث سأل عن عظيم ولكنه لم يوبخ ولم يزجر ، وهكذا التعامل الأمثل مع الشباب.
- المحاورة النبوية العقلانية لإخراج الشبهة التي علقت في نفس الشاب من طلبه الأذن بالزنى وكأنه أمر مباح.
- العلاج النبوي الإيماني بالدعاء واللمس على موقع مؤثر ، غير مسار الشاب وزاده إيماناً ويقينا بهذا الدين ، وأن الطمأنينة والأمن الداخلي هي الأساس الأولي لأمن وإيمان المجتمع المسلم.

الحوار النبوي مع صحابي زكى صاحبه وغلا في التزكية

لا شك أن تزكية النفس بعمل الصالحات والمبادرة إلى الخيرات أنه أمر محبوب مندوب إليه، وفي المثال الآتي يتبين لنا حكم التزكية المطلقة أو المبالغ فيها، فعن سَعْد بْن أَبِي وَقَّاص أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ أَعْطَى رَهْطاً وَسَعْدٌ جَالِسٌ، فَتَرَكَ رَسُولُ اللَّه ﷺ رَجُلاً هُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه مَا لَكَ عَنْ فُلان؟ فَوَاللَّه إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِناً، فَقَالَ: أَوْ مُسْلِماً، فَسَكَتُّ قَلِيلاً، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي فَقُلْتُ: مَا لَكَ عَنْ فُلان؟ فَوَاللَّه إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِناً، فَقَالَ: أَوْ مُسْلِماً، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي وَعَادَ رَسُولُ اللَّه ﷺ ثُمَّ قَالَ يَا سَعْدُ، إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللَّهُ فِي النَّار»[1].

الدروس والعبر المستفادة:

- الحوار النبوي بين الصبر على مراجعة سعد له وتكراره مقولته، وأنه أعاد الجواب نفسه ليعلم سعداً والمسلمين في مسألة التزكية المباشرة.
- الفقه النبوي في فن الحوار الرائق لما رد على الصحابي في التزكية بالإيمان ؛ لأن مرتبة الإيمان أعلى من مرتبة الإسلام، وفي كلام سعد لون من التزكية للرجل ، قال ابن حجر: «المعنى أن إطلاق المسلم على من لم يختبر حاله الخبرة الباطنة أولى من إطلاق المؤمن لأن الإسلام معلوم بحكم الظاهر»[2].

(١) رواه البخاري ١/ ١٣ رقم: (٢٧) ومسلم ١/ ٩١ ،رقم: ٣٩٦.
(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ١/ ٨٠

• الثمرة الإيمانية من أدب الحوار والفقه فيه وإعطاء كل ذي حق حقه وأن الحوار النبوي يهدي إلى الحق، وأن النبي يؤلف القلوب ببعض المال مخافة أن يرجع المؤلفة قلوبهم عن دينهم أو يفتنوا، وهو ما يناقض الرسالة السماوية التي جاءت لترسيخ الإيمان والأمن في المجتمع.

الحوار النبوي في العفو عن خيانة أحد المسلمين

كان حاطب بن أبي بلتعة من أهل بدر، ولكنه وقع في خطأ كبير هدد أمن المسلمين وهم في طريقهم لفتح مكة المكرمة في العام الثامن للهجرة، حيث حاول إخبار قريش بتوجه المسلمين إليهم، والرجل بشرٌ ليس معصوماً من الخطأ، والأخطاء تقدّر بقدرها، جاء في الحديث عن عليّ رضي الله عنه قال: «بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ فَقَالَ: انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوا مِنْهَا، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، قُلْنَا لَهَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ، قَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، قَالَ: فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا فِيهِ» مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ بِمَكَّةَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا؟

قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لا تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ ـ يَقُولُ كُنْتُ حَلِيفاً ـ وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مَنْ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَداً يَحْمُونَ قَرَابَتِي، وَلَمْ أَفْعَلْهُ ارْتِدَاداً عَنْ دِينِي وَلا رِضا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلامِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ.

فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ!

فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْراً، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْراً فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ؟، فَأَنْزَلَ اللَّهُ السُّورَةَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا

أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴿١﴾ (الممتحنة) [1].

الدروس والعبر المستفادة:

- الحوار النبوي علمنا أن على القائد عدم التعجل في معاقبة أحد الأتباع مهما كان جرمه ، حتى يستدعيه ويمثل أمامه ؛ لأن ذلك أبسط حقوق المتهم.
- الحوار مع الرجل كشف عن مكنون المشكل الذي وقع وبين أنه رجل صدق وله سابقة حسنة ، ما استدعى العفو عنه من القائد.
- الرجل أخطأ خطأ يستحق عليه العقاب ، لكنه عفا عنه من خلال الحوار المفيد، وفي ذلك عبرة لكل قائد أو مسؤول يريد أن يرسخ الفكر والمبدأ والأمن أن يتعامل مع أخطاء الناس بالعفو والرحمة ؛ ويعلم الأتباع أن هذه أخلاق قائد لا يريد العلو والاستكبار.

الحوار النبوي مع وحشي قاتل حمزة

مما عرف في العرب وفي قريش أن حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه كان مقاتلاً وفارساً شديد البأس، وقد قتل عدداً من رجالات قريش يوم بدر، فدبرت له هند امرأة أبي سفيان ـ أوان عداوتها للدين ـ مكيدة خبيثة، حيث وعدت عبداً حبشياً لها الحريةَ إن قتل حمزة، وكان وحشيٌ معروفاً بدقة التصويب بالحربة، فقصد حمزة يوم أحد فقتله.. وحزن عليه النبي ﷺ حزناً شديداً.. ثم أسلم وحشي بعد ذلك، وها هو يقصُّ لقاءه بعد ذلك برسول الله ﷺ، قال: «بعد ذلك قدمتُ على رسول الله ﷺ المدينة، فلم يرعْه إلا بي قائماً على رأسه أتشهّدُ بشهادة الحق ؛ فلما رآني قال: أوحشيٌ؟ قلت: نعم يا رسولَ الله، قال: اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة، قال: فحدثته.. فلما فرغت من حديثي، قال: ويحَك ! غيّبْ عني وجهَك فلا أَرَينَّك، قال: فكنت أتنكّبُ رسولَ الله ﷺ حيث كان لئلا يراني، حتى قبضه الله» وفي رواية قال وحشي:«قدمت على رسول الله ﷺ فلما رآني قال: أنت وحشيٌّ؟ قلت: نعم، قال: أنت قتلتَ حمزةَ؟ قلتُ: قد كان من الأمر ما بلغك، قال: فهل تستطيعُ أنْ تغيّبَ وجهَك عني؟»[2]. ثم ذكر كيف قتل مسيلمة الكذاب.

(١) رواه البخاري (٤٢٧٤) ومسلم (٦٤٠١).

(٢) رواه البخاري في حديث طويل ٥/ ١٢٩ ، رقم: ٤٠٧٢. والخبر في سيرة ابن هشام: ٢ / ٥٩٣.

الدروس والعبر المستفادة:

- الحوار النبوي مع عدو سابق لم يجعل النبي يقدم على معاقبته مع عظيم المصاب ، ولو كان وحشي هذا عند أحد غير النبي أكان لقي مثل تلك المعاملة الحسنة؟
- الحوار النبوي جعله يعفو عنه، ويقبل منه إسلامه، وما كان إلا أن يقبل من جاء مسلماً نادماً؟
- النبي بشر من البشر، يفرح ويحزن ويغضب ، وقد حزن لفقد عمه الفارس الشجاع، ولهذا لا يريد أن يرى قاتله أمام عينيه يذكّره بعمه .
- كشف الحوار عن خلق العفو الجميل من أخلاق النبي محمد ، وهذه الأخلاق لا تكون إلا من قائد عظيم يريد تحقيق الأمن والإيمان في قلوب الناس لا الخوف والرعب والنفور.

الحوار النبوي الإيماني مع أبي ذر

روى ابْنُ عَبَّاس عن أبي ذَرٍّ قال: «كُنْتُ رَجُلاً مِنْ غِفَار فَبَلَغَنَا أَنَّ رَجُلاً قَدْ خَرَجَ بِمَكَّةَ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَقُلْتُ لأخي: انْطَلِقْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ كَلِّمْهُ وَأْتِنِي بِخَبَرِهِ، فَانْطَلَقَ فَلَقِيَهُ ثُمَّ رَجَعَ فَقُلْتُ: مَا عِنْدَكَ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً يَأْمُرُ بِالْخَيْرِ وَيَنْهَى عَنْ الشَّرِّ، فَقُلْتُ لَهُ: لَمْ تَشْفِنِي مِنْ الْخَبَرِ، فَأَخَذْتُ جِرَاباً وَعَصاً ثُمَّ أَقْبَلْتُ إِلَى مَكَّةَ، فَجَعَلْتُ لا أَعْرِفُهُ وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْأَلَ عَنْهُ، وَأَشْرَبُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ وَأَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ، قَالَ: فَمَرَّ بِي عَلِيٌّ فَقَالَ: كَأَنَّ الرَّجُلَ غَرِيبٌ؟! قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَانْطَلِقْ إِلَى الْمَنْزِلِ، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ لا يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ وَلا أُخْبِرُهُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ لأَسْأَلَ عَنْهُ وَلَيْسَ أَحَدٌ يُخْبِرُنِي عَنْهُ بِشَيْءٍ، قَالَ فَمَرَّ بِي عَلِيٌّ فَقَالَ: أَمَا نَالَ لِلرَّجُلِ يَعْرِفُ مَنْزِلَهُ بَعْدُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لا، قَالَ: انْطَلِقْ مَعِي، قَالَ فَقَالَ: مَا أَمْرُكَ وَمَا أَقْدَمَكَ هَذِهِ الْبَلْدَةَ؟ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنْ كَتَمْتَ عَلَيَّ أَخْبَرْتُكَ، قَالَ: فَإِنِّي أَفْعَلُ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: بَلَغَنَا أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ هَا هُنَا رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ فَأَرْسَلْتُ أَخِي لِيُكَلِّمَهُ فَرَجَعَ وَلَمْ يَشْفِنِي مِنْ الْخَبَرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَلْقَاهُ، فَقَالَ لَهُ: أَمَا إِنَّكَ قَدْ رَشَدْتَ، هَذَا وَجْهِي إِلَيْهِ فَاتَّبِعْنِي، ادْخُلْ حَيْثُ أَدْخُلُ، فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ أَحَداً أَخَافُهُ عَلَيْكَ قُمْتُ إِلَى الْحَائِطِ كَأَنِّي أُصْلِحُ نَعْلِي وَامْضِ أَنْتَ، فَمَضَى وَمَضَيْتُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ وَدَخَلْتُ مَعَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ: اعْرِضْ عَلَيَّ الإِسْلامَ، فَعَرَضَهُ فَأَسْلَمْتُ مَكَانِي، فَقَالَ لِي: يَا

أَبَا ذَرٍّ، اكْتُمْ هَذَا الأَمْرَ وَارْجِعْ إِلَى بَلَدِكَ، فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورُنَا فَأَقْبِلْ، فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ.. الحديث»[1].

الدروس والعبر المستفادة:

- رجاحة عقل أبي ذر في البحث عن الحق مهما كلفه ذلك من أتعاب وأسفار ومهما لقي من عنت.
- الحوار النبوي يظهر من سياقه أنه كان في فترة مبكرة من دعوة النبي وفي حال احتدام عداوة قريش له.
- الحوار النبوي أظهر رجاحة عقل القائد في حفاظه على أمن أتباعه وأمن المجتمع ؛ لأن التسرع في كثير من الأمور يؤدي غالباً إلى دمار لا يحصى.

الحوار النبوي الإيماني في إسلام عمرو بن عبسة السلمي

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ: كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلالَةٍ وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَاراً، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَخْفِياً جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا نَبِيٌّ، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: أَرْسَلَنِي اللَّهُ، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الأَرْحَامِ وَكَسْرِ الأَوْثَانِ وَأَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ لا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ، قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: حُرٌّ وَعَبْدٌ، قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ وَبِلالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ، فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ، قَالَ: إِنَّكَ لا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ؟ وَلَكِنِ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي.. الحديث »[2].

الدروس والعبر المستفادة:

- حكمة الصحابي عمرو السلمي حيث رأى بفطرته ضلال الجاهلية، فبحث عن الحق وأهله حتى وجده .

(١) رواه البخاري ٤ / ٢٢ ،رقم: ٣٥٢٢ في حديث طويل .
(٢) رواه مسلم ٢ / ٢٨٠ ،رقم: ١٩٦٧. وهو في حديث طويل.

- الحوار النبوي كان واضحاً وفاصلا لا مجاملة فيه بل فيه إيضاح مبادئ وحقائق.
- الحوار النبوي اقتصر فقط على مسائل أصولية لا فرعية ، وفيه الدعوة إلى الإيمان بالله.
- سماع الصحابي لنصح النبي أن يلحق به إذا ظهر أمره ، وفي هذا أن القائد يحافظ على الأتباع وأمنهم واستقرارهم حتى تكون له شوكة تحميهم. وهنا كانت الاستجابة الكريمة فأسلم عمرو بن عبسة ، وسمع بنصيحة النبي فعاد إلى قومه ثم هاجر بعد ذلك إلى المدينة.

الحوار النبوي الإيماني مع ضماد الأزدي

عَن ابْنِ عَبَّاس:«أَنَّ ضِمَاداً قَدِمَ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِه الرِّيحِ، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ إِنَّ مُحَمَّداً مَجْنُونٌ، فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيه عَلَى يَدَيَّ، قَالَ: فَلَقِيَهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَى يَدِي مَنْ شَاءَ، فَهَلْ لَكَ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الْحَمْدَ للَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِه اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ، قَالَ: فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتَكَ هَؤُلاءِ فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْه رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلاثَ مَرَّات، قَالَ: فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ وَقَوْلَ السَّحَرَةِ وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلاءِ، وَلَقَدْ بَلَغْنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ.

قَالَ: فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى الإِسْلام، قَالَ: فَبَايَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ وَعَلَى قَوْمِكَ؟ قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي، قَالَ فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيَّةً فَمَرُّوا بِقَوْمِه فَقَالَ صَاحِبُ السَّرِيَّةِ لِلْجَيْشِ: هَلْ أَصَبْتُمْ مِنْ هَؤُلاءِ شَيْئاً؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَصَبْتُ مِنْهُمْ مِطْهَرَةً، فَقَالَ: رُدُّوهَا فَإِنَّ هَؤُلاءِ قَوْمُ ضِمَاد»[1].

(١) رواه مسلم ٢/ ١١ ،رقم: ٢٠٤٥

الدروس والعبر المستفادة:

- مـن أهـم القضايا التـي تنصر صاحب الحق الدعاية المضادة ، إذ ترشـد الناس للسـؤال والاسـتفهام ومـن ثـم معرفة المحق مـن المبطل ، وهذا مـا وقع مع هذا الصحابي.
- الحـوار النبـوي مـع المسـتفهم كان قولاً فصـلاً فصيحاً بليغاً موجـزاً ، ليس به غمـوض ولا أسرار ولا توريـات ، وكان هذا الفعل مـن النبي لعلمه أن الرجل يفهم القول ويميز قول السحر والكهانة والشعر.
- الحوار النبوي مع المسـتفهم كان مرتكزاً على بيان دعوة التوحيد والإيمان بها ، وكانت استجابة الصحابي لها سريعا.
- كان مـن ثمـرات الإيـمان أن جر عليه وعلى قومه الأمان فحرم على كل مسـلم أعراضهم وأموالهم ودماؤهم.

٢ ـ الحوارات الجماعية

تنوعت حورات النبي ﷺ مع الأفراد والجماعات ، وهذه الحوارات غنية بأفكارها وتشريعاتها ، وقد أوردت كتب السنة والتاريخ عشرات الأمثلة على تلك الحوارات البناءة التـي كانت ثمراتها تشـكيل أمة عظيمة خالدة إلى يـوم القيامة ولعلنا نورد في هذا الباب شيئا من ثمراتها وتحقيقها للأمن والإيمان في ذلك الواقع الاجتماعي الإسلامي الكبير.

الحوار النبوي مع الأنصار يوم حنين

في قصة حنين المشـهورة لما وزع النبي ﷺ الغنائم وأعطى صناديد العرب ولم يعط الأنصار قالت الأنصار: «يغفر الله لرسـوله؛ يعطي قريشًـا وسـيوفنا تقطر من دمائهم. فجمعهم النبي ﷺ في قبة له حتى فاضت، فخطبهم فقال: يا معشر الأنصار.. ألم أجدكم ضـلالا فهداكـم الله بي؟..، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟..، وعالة فأغناكم الله بي..؟. كلما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله أَمَنُّ!... قال: والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم:.. جئتنا طريدًا فآويناك، وعائلا فواسيناك، وخائفًا فأمناك، ومخذولا فنصرناك، ... أَوَجدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار في لُعاعة من الدنيا تألفتُ بها قومًا أسلموا، ووكلتُكم إلى ما

قسم الله لكم من الإسلام...؟.. أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير ـ وفي لفظ (بالدنيا) ـ وتذهبون برسول الله ﷺ تحوزونه إلى بيوتكم؟... فوالذي نفسي بيده لو أن الناس سلكوا شعبًا، وسلكت الأنصارُ شعبًا لسلكت شعب الأنصار..، ولولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار.. الأنصار شعار، والناس دثار.. إنكم ستلقون بعدي أثرة؛ فاصبروا حتى تلقوني على الحوض.. اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار.. فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم»[1].

الدروس والعبر المستفادة:

- الحوار النبوي بين أنه على القائد أن يتفقد رعيته ولا يترك أي مجال للبلبلة والقيل والقال حول قراراته وأن يحسم الوضع في الوقت المناسب حفاظاً على مكتسبات الاستقرار والأمن والسلام والولاء.
- الحوار النبوي لأتباعه كشف ما في قلوبهم من وجد وما خفي عليهم من الحكمة النبوية ، وهذا شأن القائد الملهم قال الإمام ابن القيم : «ولما شرح لهم ما خفي عليهم من الحكمة فيما صنع رجعوا مذعنين، ورأوا أن الغنيمة العظمى ما حصل لهم من عود رسول الله ﷺ إلى بلادهم، فسلوا عن الشاة والبعير، والسبايا من الأنثى والصغير، بما حازوه من الفضل العظيم، ومجاورة النبي الكريم لهم حيًّا وميتًا»[2]
- الحوار النبوي بين أن الأنصار سيلقون أثرة بعد النبي ﷺ وأمرهم أن لا يحزنهم ذلك وأن يصبروا على ذلك حتى يلقوا نبيهم في الآخرة وفي هذا توجيه للزوم الأمن والسكينة وعدم إثارة المشكلات على المسلمين أو على ولي الأمر المسلم إن استأثر بشيء دونهم.

الحوار النبوي الإيماني مع المستفهمين من وفد عبد القيس:

عن ابن عباس قَالَ:« إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: مَنْ الْقَوْمُ أَوْ مَنْ الْوَفْدُ؟ قَالُوا: رَبِيعَةُ، قَالَ: مَرْحَباً بِالْقَوْمِ أَوْ بِالْوَفْدِ غَيْرَ خَزَايَا وَلا نَدَامَى.

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا لا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا

(١) أخرجه البخاري ٥/ ٢٠٠ ، رقم: ٤٣٣٠ ، ومسلم ٣/ ١٠٨ ، رقم: ٢٤٩٣

(٢) زاد المعاد ٣/ ٤٨٥

الْحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا وَنَدْخُلْ بِهِ الْجَنَّةَ، وَسَأَلُوهُ عَنْ الأَشْرِبَةِ، فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ أَمَرَهُمْ بِالإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامُ الصَّلاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَصِيَامُ رَمَضَانَ وَأَنْ تُعْطُوا مِنْ الْمَغْنَمِ الْخُمُسَ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ الْحَنْتَمِ وَالدُّبَّاءِ وَالنَّقِيرِ وَالْمُزَفَّتِ ـ وَرُبَّمَا قَالَ: الْمُقَيَّرِ ـ وَقَالَ: احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ»[1].

الدروس والعبر المستفادة:

- من أكرم الناس وأعقلهم وأرشدهم وفد عبد القيس إذ جاء هؤلاء الكرام مسترشدين، فسألوا النبي عن أمور دينهم فأجابهم بلفظ موجز جامع.
- الحوار النبوي ركز أول الأمر على الإيمان بالله ، وقد بين النبي ﷺ حقيقته.
- الحوار النبوي أظهر الحفاوة والترحيب بهم بأنهم غير خزايا ولا ندامى.. وهو من كمال رحمته ورفقه بالمسلمين وحسن استقبال الغرباء ومجالستهم والاستماع إليهم ووعظهم .
- من أدب الحوار النبوي كذلك سؤالهم عن أمهات المسائل التي تنفعهم في دينهم، وذلك في قولهم:«فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا وَنَدْخُلْ بِهِ الْجَنَّةَ».

الحوار النبوي مع جملة من الصحابة حول شجرة مثلها كمثل المؤمن:

كما أسلفنا آنفاً أن النبي ﷺ وحواراته مع المسلمين لم تقتصر على الوعظ والتعليم المباشرين، بل كان يعلمهم بطرق شتى ويتفنن في تنويع تلك الطرق ، وكان يضرب لهم الأمثال التي لا يعقلها إلا العالمون، ومنها هذا المثل :

عَنْ عبد الله بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«إِنَّ مِنْ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: هِيَ النَّخْلَةُ »[2].

(١) رواه البخاري ١/ ٢١ ، رقم: ٤١ ، وأحمد في المسند ١/ ٣٦١ ، رقم: ٣٤٠٦ ، والحنتم والدبّاء والنقير والمزفّت أوعية كانوا ينتبذون فيها فتسرع بإحالة الشراب خمراً.

(٢) رواه البخاري ٣/ ٢٣ ،رقم: ٦١ ، ومسلم ٨ / ١٣٧ ، رقم: ٧٠٩٨.

الدروس والعبر المستفادة:

- الحوار النبوي الإيماني مع أصحابه يعلّم الرسول المسلمين حقيقة جميلة وهي مَثَل المسلم وكونه مثل النخلة التي لا يسقط ورقها بل هي دائمة الخضرة وخيرها مرجو كل حين من ثمارها وجريدها وظلها...
- الحوار النبوي يربط بذكاء فريد بين شجرة طيبة والمؤمن وهذه الشجرة محبوبة لدى الناس وفيها خير عظيم فيها الأمن الغذائي والظل الوفير والمنظر الحسن والهدوء والثبات والسكينة ، وهكذا المسلم الحق يرجى خيره في كل عمل وحين ، فهو أمن وسلام ورخاء لمن حوله.

*** الحوار النبوي الأولي مع الخزرج**

قال الطبري: « لما قدم أبو الحيسر أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بني عبد الأشهل، فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، سمع بهم رسول الله ﷺ، فأتاهم فجلس إليهم، فقال لهم: هل لكم إلى خير مما جئتم له؟ قالوا: وما ذاك؟ قال: أنا رسول الله، بعثني إلى العباد أدعوهم إلى الله أن يعبدوا الله، ولا يشركوا به شيئاً، وأنزل عليّ الكتاب، ثم ذكر لهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فقال إياس بن معاذ – وكان غلاماً حدثاً –: أي قوم ؛ هذا والله خيرٌ مما جئتم له، قال: فيأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حفنة من البطحاء، فضرب بها وجه إياس بن معاذ، وقال: دعنا منك، فلعمري لقد جئنا لغير هذا، قال: فصمت إياس، وقام رسول الله ﷺ عنهم وانصرفوا إلى المدينة، فكانت وقعة بُعاث بين الأوس والخزرج»[1].

الدروس والعبر المستفادة

- الحوار النبوي مع قوم من العرب كانوا على الشرك وكانوا يبحثون عن حليف على وجه السرعة ، ولم يمنع ذلك أن يدعوا هؤلاء الغرباء الملهوفين بالحسنى .
- الحوار النبوي معهم اشتمل على بيان حقيقة دعوته واستعان في بيانه ذاك بآيات القرآن التي ترق لها القلوب، والقوم عرب فصحاء، ولا شك أن القرآن سيجد طريقه إلى قلوبهم بفصاحته وحلاوته.

(١) رواه الطبراني ١/ ٣٤١ ، رقم: ٨٠٣ ، وهو في تاريخ الطبري ٢/ ٣٥٢-٣٥٣.

• الحـوار النبـوي معهـم ـ وإن لم يفـد آنياً ـ لكنه سـيُنقل إلى المدينة ويصير حديثاً من أحاديث نواديها، وسـيعاود الناس السـؤال عن ذلك الأمر الجديد الذي تتحـدث بـه مكة ليلَ نهارَ، وسـنرى في الحوار القادم أثر ذلـك كله حين يعود بعض أهل المدينة إلى مكة ثانية.

الحوار النبوي الآخر مع الخزرج

لما خرج رسـول الله ﷺ في الموسـم ليعرض نفسـه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسـم، فبينـما هـو عند العقبة لقي رهطاً من الخـزرج أراد الله بهم خيراً.. قال ابن إسحاق: «لما لقيهم رسول الله ﷺ قال لهم: من أنتم؟ قـالوا: نفر من الخزرج، قال: أَمِنْ موالي يهود؟ قالوا: نعم، قال: أفلا تجلسـون أكلمكم؟ قالوا: بلى، فجلسـوا معه فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن، قال: وكان مما صنع الله لهم بـه في الإسـلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم وكانـوا أهل كتاب وعلم وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد غزوهم ببلادهم فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبياً مبعوث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكـم بـه يهود فلا تسـبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه بـأن صدقوه وقبلوا منه ما عـرض عليهم من الإسـلام وقالوا: إنا قد تركنـا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك، ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا»[1].

الدروس والعبر المستفادة:

• الحوار النبوي الثاني معهم كان بناء على حوار سابق غير متعجلين فيه إذ جاؤوا للحج ، فعرض عليهم الإسلام.

• الحوار النبوي سـهل على النبي ؛ لأنهم علموا بأمره من يهود ، فرب ضرر من عدو جر نفعاً.

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٨٩ – ٢٩٠.

- الحوار النبوي كان بأسلوبه الجميل وبيانه اللطيف، واستعان بآيات القرآن في ذلك كما كان دأبه في محاوراته ودعوته إلى الله ، فكان أن استجابوا للإيمان ودخلوا في الدين ، ودعوا قومهم .
- دخل أبناء عمهم من الأوس في الإسلام وأمن الناس بالإيمان والأمن والسلام وزالت عداوات وثأرات الجاهلية بفضل اتباع التوحيد والإيمان بالله .

الحوار النبوي مع الأنصار في بيعة العقبة

تعددت لقاءات النبي ﷺ بالوفود القادمة إلى مكة جماعات وأفراداً ، وكان من ذلك وفد الأنصار:

«قال العباس لمن حضر البيعة الثانية: إن محمداً منا حيث علمتم ؛ وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا ؛ وهو في عز من قومه ومنعة في بلده ؛ وإنه قد أبى إلا الانقطاع إليكم واللحوق بكم ؛ فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ؛ ومانعوه ممن خالفه ؛ فأنتم وما تحملتم من ذلك ؛ وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم ؛ فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعةٍ من قومه وبلده.

قالوا: قد سمعنا ما قلت ؛ فتكلم يا رسول الله ؛ وخذ لنفسك وربك ما أحببت.

فتكلم رسول الله ﷺ، فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغّب في الإسلام، ثم قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم.

قال: فأخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال: والذي بعثك بالحق، لنمعنّك مما نمنع منه أُزُرَنا، فبايعْنا يا رسول الله، فنحن والله أهل الحرب وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر.

قال: فاعترض القول ـ والبراء يكلم رسول الله ﷺ ـ أبو الهيثم بن التيهان حليف بني عبد الأشهل، فقال: يا رسول الله ؛ إن بيننا وبين الناس حبالاً، وإنا قاطعوها ـ يعني اليهود ـ فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟!

قال: فتبسم رسول الله ﷺ، ثم قال: بل الدم الدم، والهدم الهدم ! أنتم مني وأنا منكم ؛ أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم»[1].

(١) رواه أحمد في المسند وهو في حديث طويل ٣/ ٤٦٠ رقم: ١٥٨٣٦ ، وقال شعيب الأرنؤوط بهامشه: حديث قوي وهذا إسناد حسن ، وهو في تاريخ الطبري: ٢/ ٣٦٢-٣٦٣.

الدورس والعبر المستفادة

- الحوار النبوي مع الأنصار دليل أنهم كانوا مسلمين قد استجابوا للدين سابقاً بفضل الدعاة الذين بعثهم والحوارات السابقة التي دارت بينهم وبين النبي .
- الحوار النبوي كان في غاية الحكمة حيث أخذ بكل أسباب النصر من الوعد ليلاً والتفاوض بشأن النصرة بعد بذل أسباب نجاحها.
- الحوار النبوي والتفاوض مع القوم جعل النبي يصحب عمه العباس رغم أنه لم يكن أسلم حتى ذلك اليوم، ولكن روابط الدم والنصرة عند العرب كانت قوية، وكانت للعباس مكانة في قريش وعند أهل يثرب كذلك، وفي ذلك تقوية لمركز النبي التفاوضي، رغم أنه يفاوض مسلمين دخلوا للتو في الدين ، وفي حضور العباس إيحاء بأن آل عبد المطلب غير تاركي ولدهم إلا لأيد أمينة صادقة قادرة على حمايته.
- الحوار النبوي أثمر بإيجابية كبرى حيث استعد الأنصار بالتضحية بكل شيء من أجل النبي وتأمينه وتأمين أمر الدعوة.
- هذا الحوار كان فاتحة خير على الأمة الإسلامية وبه تمت بداية أمر الإسلام وأمن المسلمين المضطهدين ونشر الدعوة ونصرتها إلى كل البلدان.

الحوار النبوي الإيماني في تثبيت المسلمين المستضعفين

تفننت قريش في أذى المسلمين المستضعفين الذين ليس لهم قبائل أو بيوتات كبيرة تحميهم ، وكانوا يلقون من ضروب العنت والمشقة ألواناً، وذهب بعضهم يشكو لرسول الله ﷺ شيئاً من ذلك كما حدث مع عمار بن ياسر فأنزل الله فيه ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴿١٠٦﴾ (النحل)[1].

ومن اشتكوا لرسول الله ﷺ ذلك الأذى خَبَّاب بْن الأَرَتِّ ، قَالَ:«شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا ! أَلا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا ! قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ

(١) انظر تفسير القرآن العظيم: ٢ / ٧٦٥.

مِنْ عَظْم أَوْ عَصَب وَمَا يَصُدُّهُ ذَلكَ عَنْ دينه، وَاللَّه لَيُتمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسيرَ الرَّاكبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لا يَخَافُ إِلا اللَّه أَوْ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِه وَلَكنَّكُمْ تَسْتَعْجلُونَ »[1].

الدروس والعبر المستفادة:

- الدعوة تواجه صعوبات في بداياتها خاصة إذا لم يأمن الأتباع على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم.
- الحوار النبوي مع الأتباع يظهر لهم غاية اليقين بأنهم سيأمنون على أنفسهم وأموالهم ولكن عليهم الصبر كما أمر الله.
- الحوار النبوي ضرب فيه النبي المثل الواقعي على الابتلاءات بالمسلمين السابقين في سبيل التوحيد ما جعل اليقين يحل في نفوس المؤمنين المستفهمين، وهو ما أزال الشبهة عنه.

ثالثاً: الحوار النبوي مع المخالف والمستفهم من أهل الأديان

حرص الإسلام على أن يعيش المجتمع أيا كانت معتقدات أفراده الدينية بالعيش في سلام ووئام، ولقد كان المجتمع المدني متنوع الديانة خاصة من أهل الكتاب، وقد اعترف تاريخ الإسلام بواقع هذه الديانات والقوميات وأُمر المسلمون بمعاملة أهل الملل الأخرى معاملة جيدة بلا ظلم أو تعسف في ظل حوار متبادل قائم على أسس متينة جعلت لهذا الحوار فائدة وغاية كبرى، وخلال هذا الحوار أمر الرسول المجتمع الإسلامي بدعوة غير المسلمين للدخول في الدين الإسلامي من خلال الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن و دون إكراه، و لتحقيق ذلك فقد وجب على المسلم اتخاذ عدد من الأساليب و الضوابط في عملية التحاور و كان أولها هو الدعوة بالحكمة و الموعظة الحسنة، فقد قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾٤٦ (العنكبوت) فلم يأمرنا الله تعالى فقط بالجدال بالحسنى، وإنما بالتي هي أحسن إلا مع الظالمين، ولما كان الهدف من الحوار هو تحقيق الإقناع، لذا فوجب

(١) رواه البخاري ٤/ ٢٤٤، رقم: ٣٦١٢. وأحمد في المسند ٥/ ١١١ - رقم: ٢١١١٠

عـلى كل طـرف أن يدافع عن معتقداتـه بالأدلة والبراهين فلا يمكن لأحد أن يتخلى عن دينه ويدخل دين الآخر إلا إذا أستطاع أن يزيل ما في داخله من تساؤلات.

والحجاج يقع كذلك من أهل الكتاب مع المسلمين في أمور بديهية معلومة للجميع، ولكنه الكبر والعناد بالباطل، وهو كثير، نذكر منه محاجتهم النبيَّ ﷺ في عيسى، فقص الله عليهم قصته وأخبرهم حقيقته ثم قال لنبيه ﷺ ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَـل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِـينَ﴿٦١﴾ (آل عمران) وحجاج القرآن من النوع الواضح الذي يبدأ بالأرضية المشتركة بين الناس جميعاً، أي هو يبدأ مع الناس متدرجاً حتى يفهم الجاهل قبل العالم ويقيم الحجة على الناس جميعاً، لقد «أخرج الله تعالى مخاطباته في محاجة خلقه في أجلى صورة ليفهم العامة ما يقنعهم وتلزمهم الحجة، وتفهم الخواص من أنبائها ما يربي على ما أدركه فهم الخطباء»[1].

وسنضرب ههنا بعض الأمثلة التي وقعت بين النبي ﷺ وأهل الأديان، وما ثمرة ذلك:

١ ـ الحوار مع اليهود

الحوار النبوي الاعتقادي مع عبد الله بن سلام

كان عبد الله بن سلام عالم اليهود وحبرهم المقدم في المدينة، وحين وصلت الأنباء إلى المدينة بدخول النبي ﷺ إلى قباء كان عبد الله يعمل في نخل له، فلما سمع بذلك ترك نخله وأسرع إلى النبي ﷺ.

ولنسمع منه الحديث، قَالَ: «لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَقِيلَ قَـدِمَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ... فَجِئْـتُ فِي النَّاسِ لأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْـتَثْبَتُّ وَجْهَ رَسُـولِ اللَّهِ ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُـوا السَّلامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلامٍ»[2].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن أبو بكر السيوطي ٢/ ١٧٢

(٢) رواه الترمذي ٤/ ٦٥٢، رقم: ٢٤٨٥، وابن ماجه ٢/ ٣٦٠، رقم: (١٣٣٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٧٨٦٥).

وقد كانت للنبي ﷺ علامات معروفة عند أهل الكتاب، تحقق عبد الله من بعضها، ثم إنه أراد أن يتحقق من علم النبي ﷺ ليزداد إيماناً، فسأله أسئلة لا يعلم الجواب عنها إلا نبيّ.

وفي صحيح البخاري عن أنس أن عبد الله بن سلام أتى رسول الله ﷺ مقدمَه إلى المدينة فقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلاثٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إلا نَبِيٌّ:

ـ مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟

ـ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟

ـ وَمَا بَالُ الْوَلَدِ يَنْزِعُ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ؟

قَالَ ﷺ: أَخْبَرَنِي بِهِ جِبْرِيلُ آنِفاً، قَالَ ابْنُ سَلام: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلائِكَةِ !!

قَالَ ﷺ: أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُهُمْ مِنَ الْمَشرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ الْحُوتِ، وَأَمَّا الْوَلَدُ فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ الْوَلَدَ وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزَعَتِ الْوَلَدَ.

قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ، فَاسْأَلْهُمْ عَنِّي قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلامِي.

فَجَاءَتِ الْيَهُودُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ فِيكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا وَأَفْضَلُنَا وَابْنُ أَفْضَلِنَا.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلام؟

قَالُوا: أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ !! فَأَعَادَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ.

فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، قَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا، وَتَنَقَّصُوهُ، قَالَ: هَذَا كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللَّهِ »[1].

(١) رواه البخاري ٤ / ١٠٦ ، رقم: ٣٣٢٩.

الدروس والعبر المستفادة:

- الحوار النبوي مع عبد الله بن سلام اليهودي كشف أنه رغم انحراف أهل الكتاب إلا أنهم بقي لهم من أثر النبوة ما يرشدهم إلى الإيمان الحق.
- الحوار النبوي كان بالحسنى وكان يخاطب العقل، بلا تمويه أو غمغمة بل بوضوح تام يعرضه لمن سأله فإن أبى فقد أقام الحجة وإن وافق فقد هدي إلى الحق.
- أثمر الحوار النبوي مع هذا المخالف المستفهم الكتابي أن دخل الدين الحق واعتنق الإيمان بالله ورسوله، وهو ما نتج عنه الأمان في النفس والمال والوطن.

الحوار النبوي مع جماعة من يهود للتساؤل عن نبوته

ذكر بعض أهل التفسير والحديث أن هذه الآيات ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ (البقرة).

نزلت في مجيء اليهود إلى النبي ﷺ للتأكد من صدق نبوته[1].

وفي مسند الإمام أحمد عن ابْن عَبَّاس قال: «حَضَرَتْ عِصَابَةٌ مِنَ الْيَهُودِ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ يَوْماً، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، حَدِّثْنَا عَنْ خِلالٍ نَسْأَلُكَ عَنْهُنَّ لا يَعْلَمُهُنَّ إلا نَبِيٌّ، قَالَ: سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ، وَلَكِن اجْعَلُوا لِي ذِمَّةَ اللَّهِ وَمَا أَخَذَ يَعْقُوبُ (عليه السلام) عَلَى بَنِيهِ لَئِنْ حَدَّثْتُكُمْ شَيْئاً فَعَرَفْتُمُوهُ لَتُتَابِعُنِّي عَلَى الإِسْلامِ، قَالُوا: فَذَلِكَ لَكَ، قَالَ: فَسَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ.

قَالُوا: أَخْبِرْنَا عَنْ أَرْبَعِ خِلالٍ نَسْأَلُكَ عَنْهُنَّ:

ـ أَخْبِرْنَا أَيُّ الطَّعَامِ حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ؟

ـ وَأَخْبِرْنَا كَيْفَ مَاءُ الْمَرْأَةِ وَمَاءُ الرَّجُلِ، كَيْفَ يَكُونُ الذَّكَرُ مِنْهُ؟

ـ وَأَخْبِرْنَا كَيْفَ هَذَا النَّبِيُّ الأُمِّيُّ فِي النَّوْمِ؟ وَمَنْ وَلِيُّهُ مِنَ الْمَلائِكَةِ؟

قَالَ: فَعَلَيْكُمْ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ لَئِنْ أَنَا أَخْبَرْتُكُمْ لَتُتَابِعُنِّي؟ قَالَ: فَأَعْطَوْهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ.

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ١/ ١٧٢.

قَالَ: فَأَنْشُدُكُمْ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى ﷺ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ إِسْرَائِيلَ يَعْقُوبَ (عليه السلام) مَرِضَ مَرَضاً شَدِيداً وَطَالَ سَقَمُهُ فَنَذَرَ لِلَّهِ نَذْراً لَئِنْ شَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ سَقَمِهِ لَيُحَرِّمَنَّ أَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ وَأَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ لُحْمَانُ الإِبِلِ، وَأَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ أَلْبَانُهَا؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِمْ.

فَأَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ مَاءَ الرَّجُلِ أَبْيَضُ غَلِيظٌ وَأَنَّ مَاءَ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ رَقِيقٌ فَأَيُّهُمَا عَلا كَانَ لَهُ الْوَلَدُ وَالشَّبَهُ بِإِذْنِ اللَّهِ، إِنْ عَلا مَاءُ الرَّجُلِ عَلَى مَاءِ الْمَرْأَةِ كَانَ ذَكَراً بِإِذْنِ اللَّهِ، وَإِنْ عَلا مَاءُ الْمَرْأَةِ عَلَى مَاءِ الرَّجُلِ كَانَ أُنْثَى بِإِذْنِ اللَّهِ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِمْ.

فَأَنْشُدُكُمْ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ هَذَا النَّبِيَّ الأُمِّيَّ تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلا يَنَامُ قَلْبُهُ؟

قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ.

قَالُوا: وَأَنْتَ الآنَ، فَحَدِّثْنَا: مَنْ وَلِيُّكَ مِنَ الْمَلائِكَةِ؟ فَعِنْدَهَا نُجَامِعُكَ أَوْ نُفَارِقُكَ !!

قَالَ: فَإِنَّ وَلِيِّيَ جِبْرِيلُ (عليه السلام)، وَلَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيّاً قَطُّ إِلا وَهُوَ وَلِيُّهُ.

قَالُوا: فَعِنْدَهَا نُفَارِقُكَ، لَوْ كَانَ وَلِيُّكَ سِوَاهُ مِنَ الْمَلائِكَةِ لَتَابَعْنَاكَ وَصَدَّقْنَاكَ !! قَالَ: فَمَا يَمْنَعُكُمْ مِنْ أَنْ تُصَدِّقُوهُ؟ قَالُوا: إِنَّهُ عَدُوُّنَا !!

قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ إِلَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴿٩٦﴾ (البقرة) فَعِنْدَ ذَلِكَ ﴿بَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴿١٠١﴾ (البقرة)» [1].

الدروس والعبر المستفادة:

- الحوار النبوي اتسع للمعارضين والمستفهمين من أهل الأديان ، وكان هادئاً مفيداً مقنعاً متركزاً على دعوتهم إلى الإيمان.
- الحوار النبوي أفهم اليهود جميع ما سألوا عنه ، لكنهم أعرضوا محتجين بعذر

(١) رواه أحمد ١/ ٢٧٣ ، رقم: ٢٤٧١ ، وحسنه الأرنؤوط بهامشه

لا قيمة له ، ومع ذلك لم ينهرهم النبي ولم يزجرهم وإنما عاملهم بالحسنى ، فلا إكراه في الدين.

- الحوار النبوي قام على التفاهم وعدم إثارة المشكلات التي تضر بأمن وسلام المجتمع مع قوم مخالفين في الدين ، فهم شركاء الوطن وقام العهد بينهم على حمايته.

الحوار النبوي مع يهود نقضوا العهد

وسعت أخلاق النبي ﷺ كل شيء في الحياة الحجر والشجر والجماد والبهائم، وحتى العدو في أمثلة كثيرة منها هذا الحدث بينه وبين قوم من الأعداء:

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ إِذْ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: انْطَلِقُوا إِلَى يَهُودَ، فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى جِئْنَا بَيْتَ الْمِدْرَاسِ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَنَادَاهُمْ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا، فَقَالُوا: قَدْ بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فَقَالَ ذَلِكَ أُرِيدُ، ثُمَّ قَالَهَا الثَّانِيَةَ فَقَالُوا: قَدْ بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، ثُمَّ قَالَ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: اعْلَمُوا أَنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُجْلِيَكُمْ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ بِمَالِهِ شَيْئاً فَلْيَبِعْهُ، وَإِلا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا الأَرْضُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ»[1].

الدروس والعبر المستفادة:

- الحوار النبوي مع يهود في هذا الأمر كان بسبب خيانة يهود للعهد وقد ذكر أهل العلم أنه بقايا من اليهود الذين أجلاهم النبي[2]
- ابتدأ النبي الحوار معهم بدعوتهم إلى الإيمان بالله ورسوله ، لكنهم رفضوا الدعوة ، وكان هذا التخيير بين إخراجهم أو إسلامهم وخضوعهم لدين الله فأبوا فأجلاهم.
- على القائد الواعي أن يحافظ على أمن المجتمع من أي أخطار قد تؤدي إلى دماره، لا سيما مع من تكررت منهم الخيانة.

---

(١) رواه البخاري (٦٩٤٤) ومسلم (٤٥٩١).

(٢) انظر فتح الباري ٦ / ٢١٧ ، عمدة القارئ ١٨ / ١٧٢ ، ٢٢/ ٣٧٠

حوار النبي مع اليهود حول الحدود الشرعية

عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: مُرَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِيَهُودِيٍّ مُحَمَّماً مَجْلُوداً فَدَعَاهُمْ ﷺ فَقَالَ: هَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ، فَدَعَا رَجُلاً مِنْ عُلَمَائِهِمْ فَقَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى، أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟ قَالَ: لا، وَلَوْلا أَنَّكَ نَشَدْتَنِي بِهَذَا لَمْ أُخْبِرْكَ، نَجِدُهُ الرَّجْمَ، وَلَكِنَّهُ كَثُرَ فِي أَشْرَافِنَا فَكُنَّا إِذَا أَخَذْنَا الشَّرِيفَ تَرَكْنَاهُ وَإِذَا أَخَذْنَا الضَّعِيفَ أَقَمْنَا عَلَيْهِ الْحَدَّ، قُلْنَا: تَعَالَوْا فَلْنَجْتَمِعْ عَلَى شَيْءٍ نُقِيمُهُ عَلَى الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ، فَجَعَلْنَا التَّحْمِيمَ وَالْجَلْدَ مَكَانَ الرَّجْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَا ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ . . .﴿٤١﴾ (المائدة) يَقُولُ: ائْتُوا مُحَمَّداً ﷺ فَإِنْ أَمَرَكُمْ بِالتَّحْمِيمِ وَالْجَلْدِ فَخُذُوهُ، وَإِنْ أَفْتَاكُمْ بِالرَّجْمِ فَاحْذَرُوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴿٤٥﴾ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴿٤٧﴾ (المائدة)، فِي الْكُفَّارِ كُلِّهَا» (١).

الدروس والعبر المستفادة:

- الحوار النبوي مع يهود يكشف عن خيانة أخرى كبيرة من خيانات اليهود حيث بدلوا أحكام التوراة، فأقاموها على الضعيف وتركوا القوي.. فلما غلبهم الفسق في عليتهم اتفقوا على تبديل شرع الله فجعلوا تسويد الوجه والجلد للزاني بديلاً عن الرجم.
- الحوار النبوي كشف أمرهم على الملأ في تبديل الشرع الذي أنزله الله على موسى ، ولقد أحيا شرع الله تعالى فيهم فأمر برجم الزاني المحصن كما هو شرع الله تعالى في التوراة وفي شريعة الإسلام.

(١) رواه مسلم ٥/ ١٢٢ ،رقم: ٤٥٣٦

- إقامة النبي ﷺ لشرع الله تعالى هو أكبر عامل في استتباب الأمن وذهاب المجرمين والمعتدين ، ولقد أقامه على أهل الكتاب إذا ذهبوا وتحاكموا إليه.
- الحوار النبوي أوضح أن تحكيم شرع الله تعالى من أوجب الواجبات وأن على الحاكم تطبيق شرع الله ، إذ به تحقيق الأمن والسلام في المجتمعات والدول.

الحوار النبوي مع حبر (عالم) يهوديّ

عـن ثَوْبَـانَ قَالَ: كُنْتُ قَائِماً عِنْدَ رَسُـولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَ حِبْرٌ مِـنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً كَادَ يُصْرَعُ مِنْهَا، فَقَالَ: لِمَ تَدْفَعُنِي؟ فَقُلْتُ: أَلا تَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: إِنَّمَا نَدْعُوهُ بِاسْمِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اسْـمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَـمَّانِي بِهِ أَهْلِي، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: جِئْتُ أَسْـأَلُكَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟ قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ، فَنَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعُودٍ مَعَهُ فَقَالَ: سَلْ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ.

قَالَ: فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجَازَةً؟

قَالَ: فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ.

قَالَ الْيَهُودِيُّ: فَمَا تُحْفَتُهُمْ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ زِيَادَةُ كَبِدِ النُّونِ.

قَالَ: فَمَا غِذَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا؟

قَالَ: يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا.

قَالَ: فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ؟

قَالَ: مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً.

قَالَ: صَدَقْتَ.

قَالَ: وَجِئْتُ أَسْـأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ لا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ إِلا نَبِيٌّ أَوْ رَجُلٌ أَوْ رَجُلانِ.

قَالَ: يَنْفَعُكَ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟

قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ.

قَالَ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ الْوَلَدِ.

قَالَ: مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ فَإِذَا اجْتَمَعَا فَعَلا مَنِيُّ الرَّجُلِ مَنِيَّ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَإِذَا عَلَا مَنِيُّ الْمَرْأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ آنَثَا بِإِذْنِ اللَّهِ.

قَالَ الْيَهُودِيُّ: لَقَدْ صَدَقْتَ وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَذَهَبَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَقَدْ سَأَلَنِي هَذَا عَنْ الَّذِي سَأَلَنِي عَنْهُ وَمَا لِي عِلْمٌ بِشَيْءٍ مِنْهُ حَتَّى أَتَانِيَ اللَّهُ بِهِ»[1].

الدروس والعبر المستفادة:

- الحوار النبوي مع هذا الحبر كان بالحسنى ، وكان في غاية الوضوح والبساطة ، في صورة سؤال وجواب.
- كشف الحوار أن يهود يعلمون صدق نبوة النبي ولكنهم بآيات الله يجحدون وكان الرجل يعلم صدق النبي وبأنه نبي ثم لا يسلم، وقد قال الله تعالى في القرآن موبخاً لهم ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ﴿٩١﴾ (الأنعام).
- الحوار قد يؤتي ثماره وقد يقيم الحجة ، وفي الحفاظ على أدب الحوار وحالة الأمن الاجتماعي مكسب كبير ، وفي بقاء الحبر اليهودي على كفره بعد تأكده من صدق نبوة النبي تعليم للمحاور أو الداعي المسلم بأن عليه أن يتوقع كل الاحتمالات من الحوار، وأن عليه البلاغ، والهدايةُ من الله تعالى.

(١) رواه مسلم ١/ ١٧٣، رقم: ٧٤٢.

٢ ـ الحوار مع النصارى

مـن المعلـوم أن الاحتكاك المباشر والغالب بأهل الكتـاب كان مع يهود المدينة وما حولها، ولأن النصارى كانوا بعيدين عن مكان النبي والصحابة إلا أنه كانت هناك عدة مواقـف احتك فيها المسـلمون بالنصارى منها على سـبيل المثال: الأول: لقاء المسـلمين المهاجرين إلى الحبشة مع النجاشي وحاشيته وأساقفته، والثاني: لقاء النبي ﷺ مع عديّ بن حاتم الطائي الذي كان زعيماً نصرانياً، والثالث: لقاء النبي ﷺ مع وفد نصارى نجران.

ولكن كتب التاريخ سجلت بعض اللقاءات والحوارات الأخرى كلقاء النبي ﷺ بورقة بن نوفل في أول البعثة، ولقاء الجارود بن عمرو الذي كان نصرانياً فأسلم، ولقاء النبـي ﷺ مع «عدّاس» العبد النصراني لعتبة وشـيبة ابنـي ربيعة، وكان ذلك في الطائف حين رد أهلُها النبيَّ ﷺ وصاحبه وآذوهما.

الحوار النبوي الإيماني مع عدي بن حاتم الطائي

عن عدي بن حاتم (رضي الله عنه) أنه لما بلغته دعوة رسـول الله ﷺ فر إلى الشـام وكان قد تنصر في الجاهلية فأسرت أخته وجماعة من قومه، ثم من رسول الله ﷺ على أخته وأعطاها، فرجعـت إلى أخيهـا فرغبتـه في الإسـلام وفي القدوم على رسـول الله ﷺ، قدم عدي إلى المدينة، وكان رئيسـاً في قومه طيء وأبوه حاتم الطائي المشـهور بالكرم، فتحدث الناس بقدومه، فدخل على رسول الله ﷺ وفي عنق عدي صليب من فضة، وهو يقرأ هذه الآية «اتخذوا أحبارهم ورهباهم أرباباً من دون الله» قال، فقلت: إنهم لم يعبدوهم، فقال: «بلى إنهـم حرمـوا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم». وقال: «يـا عـدي ما تقول؟ أيضرك أن يقال الله أكبر؟ فهل تعلم شـيئاً أكبر من الله؟ أيضرك أن يقال: لا إله إلا الله، فهل تعلم إلهاً غير الله؟ ثم دعاه إلى الإسـلام فأسـلم وشـهد شـهادة الحق، قال: فلقد رأيت وجهه مستبشراً»[1].

(١) غاية المرام، ص ١٩، حديث رقم ٦ وحسنه الألباني بهامشه

الدروس والعبر المستفادة:

- الحوار النبوي أوضح تواضع القائد مع انتصاره في مخاطبة عدوه وعدم زجره أو الاحتجاب عنه.
- الحوار النبوي يؤكد على مسألة التوحيد والإيمان ولا يسكت عن منكر رآه بل يغيره أو يوجه بشأنه إذ البيان لا يؤخر عن وقت الحاجة.
- الحوار بين سعة صدر النبي على تساؤلات الناس وإجابتهم إجابة مباشرة صريحة تمزج بين الدليل العقلي والشرعي ما يرسخ القناعة بأحقية قوله واتباعه، وقد آمن عدي به فاستبشر لذلك.

الحوار النبوي الاعتقادي مع وفد نصارى نجران

لعل أظهر محاولات الاتصال المباشر بين النبي والنصارى كانت في السنة التاسعة للهجرة حين أرسل إلى نصارى اليمن يدعوهم، فأرسلوا وفداً منهم إلى المدينة للاطلاع على الأمر، وهو مشهور في كتب السيرة والتاريخ بوفد نصارى نجران(١).

وقد ذكر أهل التفسير أن الآيات من أول سورة آل عمران إلى ثلاث وثمانين منها نزلت في مناسبة مجيء وفد نصارى نجران إلى النبي ﷺ(٢).

روى البخاري عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: «جَاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ صَاحِبَا نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُرِيدَانِ أَنْ يُلاعِنَاهُ، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لا تَفْعَلْ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلاعَنَّا لا نُفْلِحُ نَحْنُ وَلا عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا، قَالا: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا، وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلاً أَمِيناً وَلا تَبْعَثْ مَعَنَا إِلا أَمِيناً، فَقَالَ: لأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلاً أَمِيناً حَقَّ أَمِينٍ، فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ، فَلَمَّا قَامَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ» (٣).

قال ابن هشام: «فلما كلمه الحبران قال لهما رسول الله ﷺ: أسلما، قالا: قد أسلمنا،

(١) انظر تاريخ الطبري ٣/ ١٣٩.
(٢) تفسير القرآن العظيم ١/ ٤٨٠ وما بعدها.
(٣) رواه البخاري ٥/ ٢١٧، رقم: ٤٣٨٠

قال: إنكما لم تسلما فأسلما، قالا: بلى قد أسلمنا قبلك، قال: كذبتما، يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً وعبادتكما الصليبَ وأكلكما الخنزيرَ، قالا: فمن أبوه يا محمد؟ فصمت عنهما رسول الله ﷺ فلم يجبهما، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم كله صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية» [1].

وقال الطبري في قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ (آل عمران).

«فلما فصل جل ثناؤه بين نبيه محمد ﷺ وبين الوفد من نصارى نجران بالقضاء الفاصل والحكم العادل أمره إن هم تولوا عما دعاهم إليه من الإقرار بوحدانية الله وأنه لا ولد له ولا صاحبة وأن عيسى عبده ورسوله وأبوا إلا الجدل والخصومة أن يدعوهم إلى الملاعنة، ففعل ذلك رسول الله ﷺ فلما فعل ذلك رسول الله ﷺ انخذلوا فامتنعوا من الملاعنة ودعوا إلى المصالحة» [2] عند ذلك أقروا بالجزية للمسلمين فأحسن المسلمون إليهم وحفظوا لهم العهود التي أعطاهم النبي حين وفدوا عليه بالمدينة [3].

لقد فتح النبي ﷺ باب الحوار معهم في المدينة، وحين وصل الحوار إلى طريق مسدود بشأن إسلامهم، وأبوا إلا البقاء على دينهم، أمر الله تعالى رسوله بالمباهلة، قال تعالى ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ (آل عمران).

الدروس والعبر المستفادة:

- الحوار النبوي مع النصارى يُشرع جواز مجادلة أهل الكتاب التي هي أحسن لإقامة الحجة عليهم.

---

(١) السيرة النبوية ١/ ٤١٦.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٥/ ٤٦٨ – ٤٦٩

(٣) انظر أخبار الوفد في تفسير القرآن العظيم:٢/ ٤٨٠ في تفسير آل عمران عند الآية المذكورة.

- الحوار النبوي شرع مع المكابر المباهلة بعد ظهور الحق ، قال ابن حجر: «وفيها ـ أي فوائد قصة وفد نجران ـ جواز مجادلة أهل الكتاب، وقد تجب إذا تعينت مصلحته، وفيها مشروعية مباهلة المخالف إذا أصر بعد ظهور الحجة..»[1].
- حرص النبي ﷺ على الأدب النبوي الجميل في المعاملة والحلم على المجادلين، وقد كانوا في مدينته وتحت سلطانه ولم يمسَّهم بأذى، بل أكرم وفادتهم والتزم بأدب الجدال معهم بالحسنى كما أمره ربه .

ولقد تنوعت حواراته ﷺ مع أهل الأديان ـ كما أوردنا آنفا ـ ولم يقتصر الحوار على المجالسة المباشرة أو الحوار الشخصي ، بل كان الحوار أحياناً يكون بالمراسلة والمكاتبة الموثقة أو بالمبعوثين الشخصيين منه ولا أدل على ذلك من إرسال بعض المبعوثين باسم النبي الداعين إلى توحيد الله تعالى وإقامة الحجة فمن ذلك:

ـ دِحْية بن خليفة الكلبي أرسله النبي ﷺ إلى قيصر ملك الروم.
ـ حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس حاكم مصر.
ـ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي حاكم الحبشة.
ـ شجاع بن وهب إلى الحارث بن أبي شمر الغساني في دمشق.
ـ العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى صاحب البحرين.

رابعاً: الحوار النبوي مع المخالف المشرك

١ ـ الحوار النبوي مع أفراد من المشركين

لم يأت دين الله تعالى بأمر مبتدع أو محدث بل جاء وفق ما أمر الله من الحوار مع المخالفين حتى وإن كانوا من المشركين أو الوثنيين ، فقد سلك النبي ﷺ مسلك الأنبياء السابقين ، فهذا إبراهيم (عليه السلام) يحاج النمرود في شأن الله الواحد الأحد سبحانه ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴿٢٥٨﴾ (البقرة).

(١) فتح الباري ٧/ ٦٩٧.

وقد ضرب القرآن الأمثلة الرائعة في الحوار مع المعاندين والمشركين -كما ذكرنا آنفاً- ليعلم هذه الأمة هذا المبدأ الخير وليسير عليه السابق واللاحق وهناك الكثير من المواقف والحوارات المختلفة كقدوم مسيلمة الكذاب ونقاش الرسول له.

وبعث سليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن علي الحنفي صاحب اليمامة. ، وبعث عمرو العاص إلى جَيْفر بن جُلَنْدى وأخيه صاحبي عُمان»[1]. ومن الأمثلة على ذلك نورد ما يلي:

الحوار النبوي مع أبي طالب عم النبي حول دعوته ﷺ

يروي ابن هشام أن أبا طالب «بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا ابن أخي، إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا، للذي كانوا قالوا له، فأبْقِ عليَّ وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، قال: فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بداء أنه خاذله ومسلمه وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه، قال: فقال رسول الله ﷺ: يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهرَه الله أو أهلكَ فيه ما تركته، قال: ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى ثم قام، فلما ولى ناداه أبو طالب فقال: أقبل يا ابن أخي، قال: فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً»[2].

الدروس والعبر المستفادة:

- الحوار النبوي مع أقرب نصير وهو عمه أبو طالب كان واضحاً وشفافاً ولم يبع مبادئه من أجل مساومات دنيوية.
- كان الحوار مع أبي طالب بالحسنى بين له فيها يقينه بها وأنها ماضية ولن يتوقف عنها حتى تنتصَر أو يموتَ دونها، وفي هذا قطع لمحاولات رده عن دعوته، وقطع لآمال قريش في إخماد نورها.
- الحوار بين لنا أن من مميزات المكان الذي اختاره الله تعالى لنبيه أنه لم تكن فيه

(١) انظر تاريخ الطبري ٢/ ٦٤٤-٦٤٥، والطبقات الكبرى ١/ ١٧٥ وما بعدها. الاكتفاء للكلاعي ٢/ ٣٢٠

(٢) السيرة النبوية ١/ ١٧٦-١٧٧.

سلطة سياسية مهيمنة تستطيع القضاء على الدعوة الناشئة بقواتها المنظمة المدربة على القتال كما كان الحال في بلاد فارس والروم، أما في مكة فقد كان توازن القوى بين بطون قريش يحول دون ذلك، ولهذا ذهبت قريش إلى أبي طالب أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ لتشكوه إليه.

الحوار النبوي الإيماني مع عتبة بن ربيعة

عند استجابة بعض أهل قريش لدعوة النبي ﷺ الإيمانية تحركوا جماعات ووحداناً لثنيه عن الاستمرار ، قال ابن إسحاق:«ثم إن قريشاً اشتد أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله ﷺ ومن أسلم معه منهم، فأغروا برسول الله ﷺ سفهاءهم فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون، ورسول الله ﷺ مظهر لأمر الله لا يستخفي به مباد لهم بما يكرهون من عيب دينهم واعتزال أوثانهم وفراقه إياهم»[(١)].

وقريش مع ذلك كله لا يهدأ لها بال ، وهي تحاول المرة بعد الأخرى إقناع محمد ﷺ بالعودة عن دينه وتعده بكل ما يريد من متاع الدنيا إن هو فعل ذلك وتعرض عليه كل المغريات الدنيوية... ومن ذلك حوار النبي ﷺ مع عتبة بن ربيعة.

قال ابن إسحاق: «وحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: حُدثت أن عتبة بن ربيعة ـ وكان سيداً ـ قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله ﷺيزيدون ويكثرون فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلمه، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السلطة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفّهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفّرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها.

قال فقال له رسول الله ﷺ: قل يا أبا الوليد أسمع، قال: يا ابن أخي، إن كنتَ إنما

(١) المصدر السابق ١/ ١٩١.

تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكونَ أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه...

حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال: أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاسمع مني، قال: أفعل، فقال (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) حم﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴿٢﴾كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴿٥﴾(فصلت).

ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك»[1].

الدروس والعبر المستفادة:

- الحوار النبوي مع قريش كان على أعلى مستوى فقد رشحت لنقاشه سيداً من سادتها، وهذا يدل أنها كانت في حيرة من أمر النبي ﷺ وعجزها عن مواجهته بالحجة.
- الحوار كشف لجوء قريش إلى وسائل الإغراء الدنيوية من المال والجاه والملك، وإعراض النبي ﷺ عن كل ذلك، ما يزيد من حيرة قريش.
- الحوار النبوي مع القرشيين كان بالحسنى كذلك رغم شركهم لأنه إنما جاء عارضاً ما عنده راغباً في إقناع النبي به.
- كان النبي ﷺ في حواره يهدف إلى أمور مهمة منها: دعوتهم إلى التوحيد، وكف أذاهم عنه وعن أصحابه وتأمينهم من الأذى الذي لحق بهم.

(١) السيرة النبوية ١/ ١٩٣.

الحوار النبوي مع أحد المشركين بمكة:

ففي حديث للنبي ﷺ مع أحد المشركين روى ابن خزيمة بإسناده، أن قريشاً جاءت إلى الحصين، والد عمران، وكانوا يعظمونه، فقالوا له: كلم هذا الرجل ـ أي محمداً ـ فإنه يذكر آلهتنا ويسبهم. فجاءوا معه حتى جلسوا قريبا من باب النبي ﷺ، فقال: « أوسعوا للشيخ» وعمران وأصحابه متوافرون.

فقال حصين: ما هذا الذي بلغني عنك، أنك تشتم آلهتنا وتذكرهم ؟

فقال النبي ﷺ: «يا حصين، كم تعبد من إله ؟». فقال حصين: سبعاً في الأرض وواحدا في السماء.

فقال النبي ﷺ: «فإذا أصابك الضر من تدعو ؟».

فقال حصين: الذي في السماء.

قال النبي ﷺ: «فيستجيب لك وحده وتشركه معهم، أرضيته في الشكر، أم تخاف أن يغلب عليك ؟»

فقال حصين: ولا واحدة من هاتين. قال: وعلمت أني لم أكلم مثله.

فقال النبي ﷺ: «يا حصين أسلم تسلم»

فقال حصين: إن لي قوما وعشيرة ، فماذا أقول ؟

قال : «قل اللهم إني أستهديك لأرشد أمري، وأسألك علما ينفعني».

فقالها حصين. فلم يقم حتى أسلم. فقام إليه ابنه عمران، فقبل رأسه ويديه ورجليه، فلما رأى ذلك النبي بكى[1].

الدروس والعبر المستفادة:

- الحوار النبوي بين الاحتفاء بالضيف المشرك الوجيه في قومه وإجلاسه في المكان المناسب اللائق به.

(١) التوحيد لابن خزيمة ١/ ١٧٨ ، رقم: ١٧٨

- الحوار النبوي تميز بالقول الحسن واللين والصراحة ، ولم ينف عن نفسه تهمة أهل الشرك بل خاطب عقله وفطرته لدعوته إلى الإيمان.
- الحوار أثار العجب والانبهار في نفس حصين من هدوء النفس ولين التعامل ومخاطبة لعقل والنفس ما جعله يدخل في الإسلام.

الحوار النبوي مع أبي بن خلف مع النبيّ ﷺ

قال مجاهد وعكرمة وعروة بن الزبير والسدي وقتادة:«جاء أبيُّ بن خلف لعنه الله إلى رسول الله ﷺ وفي يده عظم رميم وهو يفته ويذروه في الهواء وهو يقول: يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا؟ قال : نعم يميتك الله تعالى ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار» ونزلت هذه الآيات من آخر يس ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴿٧٧﴾ (يس)[1].

الدروس والعبر المستفادة:

- الحوار النبوي هنا كان بمبادرة من أحد مشركي قريش، حيث جاء جاحداً ساخراً ، وقد استخدم الأدلة المادية ليبطل حجة النبي ﷺ.
- الحوار القصير بين النبي وأمية يدل على استمرار تحدّي قريش لما جاء به النبي ﷺ وهم في ذلك لا يألون في ضرب الأمثلة المادية التي تغري العامة من الناس وتستميلهم، وهذا أبي بن خلف يجادل النبي ﷺ في شأن بعث الموتى بعد أن تفتت عظامهم وتذروها الرياح وتدوسها الأقدام.. فينزل القرآن بجوابه الشافي.
- الحوار النبوي مع أمية ومن أيده فيه معجزة لرسول الله ﷺ حيث توعّد أبيّاً بالنار، ومات الرجل كافراً محادّاً لله ورسوله كما هو معلوم، وصدقت نبوءة النبي .

الحوار النبوي الإيماني مع أبي طالب عند احتضاره

من أهم حوارات النبي في الفترة المكية حواره مع عمه أبي طالب ساعة موته، وكان ذلك في السنة السادسة من البعثة، فعن سَعِيد بْن الْمُسَيَّب عَنْ أَبِيهِ قَالَ:«لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا

(١) السيرةالنبوية:١/ ٢٤٣. تفسير القرآن العظيم ٣ / ٧٦١

طَالـب الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْـلٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : يَا عَمِّ، قُلْ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ.

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟

فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ..» [(١)].

الدروس والعبر المستفادة:

- الحـوار النبـوي كان في لحظـة حرجة جـداً وقد ابتدأ النبـي ﷺ حواره مع عمه بالكلمة الجامعة شـهادة أن لا إله إلا الله التي بدونها لا يكون المرء مسـلماً، والنبي ﷺ يطلبها من عمه ليشـفع له بها عند الله، فقدم له عرضين بلفظ موجـز: لا إله إلا الله، تتبعها الشفاعة.
- الحـوار النبـوي لم يلتفـت إلى رفقـاء السـوء ، ولم يفتـح النبي ﷺ حـواراً معهم لظروف المقام، إذ كانت سـاعة احتضار أبي طالب، ولكنه تشـبث بعمه يلح عليه إلحاحاً كما جاء في الرواية "«فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيد لـه تلك المقالة «ها هنا نجد التكرار بل الإلحاح في الحوار، ذلك أنها لحظات حاسمة، إما إلى الجنـة وإمـا إلى النـار، ولكن أبا طالب والقوم من حولـه لا يدركون خطرها، إن قدَر الله تعالى كان قد سـبق، ولكن النبي ﷺ اجتهد وسـعه، ليعلمنا بذلك ألا نخلـد إلى الدعـة والهـدوء تاركين عبء الدعوة ومشـقتها، وقد حـزن النبي ﷺ لذلك فواساه الله تعالى بقوله إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ»[(٢)] .

٢ ـ الحوار النبوي الاجتماعي الإيماني مع أهل الشرك

المثال الأول:

يعـرف العقـلاء أن مهمـة أي قائد عظيم يسـعى للتغير تنصـب أولاً على إصلاح

(١) رواه البخاري ٢/ ١١٩ ، رقم: ١٣٦٠ و مسلم واللفظ له (١٣٢) والبخاري (١٣٦٠).

الوضع الاجتماعي، ولا بد مع ذلك أن تكون علاقاته الاجتماعية ممتازة، وأن يمتاز بقوة الحجة والقدرة على الحوار وتقبل كل ما ينتج عنه، ولقد توافرت في النبي ﷺ جميع صفات المصلح الاجتماعي والقائد الروحي والمحاور الناجح المتصف بقوة الحجة، كما أن علاقات الرسول ﷺ الاجتماعية الواسعة جعلت من نجاحه في دعوته أمراً محققاً، فعندما وقفت قريش في وجه الدين الجديد منذ اليوم الأول الذي أعلن فيه رسول الله دعوته ـ وكذلك فعلت قبائل العرب ـ لم يستسلم لهذه المعارضة الشديدة له ولمشروعه الإصلاحي التوحيدي، وكان ارتباط النبي الاجتماعي بأهله قوياً إلى درجة أن من دافع عن الدعوة أول أمرها هم أهله ممن لم يسلم ولا يزال على دينه الشركي، وهذا ينبع من أهمية الرابط الاجتماعي، فعن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يُحرس فكان يرسل معه عمه أبو طالب كل يوم رجالاً من بني هاشم يحرسونه حتى نزلت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ. . . ﴿٦٧﴾ (المائدة)، فأراد عمه أن يرسل معه من يحرسه فقال: يا عم إن الله عز وجل قد عصمني من الجن والإنس»[1].

الدروس والعبر المستفادة:

- الحوار النبوي مع أقاربه ممن ليسوا على الدين شمل أهم مناحي حياة النبي ألا وهو الأمن الذي ينشده صاحب أي فكرة أو دعوة أو مبدأ.
- اعتذار الرسول لعمه عن مساعدته في تأمينه من أذى الشرك كان في غاية الأدب والوقار.
- يستدل بعض أهل العلم أن حماية الأهل لولدهم ألا يقتله المشركون مع اختلافهم معه؟ فيه دليل على أن المسلم يجوز له أن يستعين بالمشرك في حماية دعوته ونشرها والدفاع عنها.

المثال الثاني:

على صعيد آخر وثق النبي ﷺ صلاته وعلاقاته الاجتماعية من خلال أرحامه، فلقد

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ١١/ ٢٥٦، رقم: ١١٦٦٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٨١، رقم: ١٠٩٨١.

كان أصهـار النبـي إلى بعض البيوتات القرشـية ، أو القبائل العربية الأخرى.. وهي من الوسـائل التي اتخذها النبي ﷺ لكسر حدة الخصومة بينه وبين هذه القبائل ، فقد تزوج رسول الله من جويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق ، وكانت قد أسرت في الحرب التي دارت بين قومها والمسلمين ، عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت: وقعت جويرية بنت الحارث بن المصطلق في سهم ثابت بن قيس بن شماس أو ابن عم له، فكاتبت على نفسها ، وكانت امرأة ملاحة تأخذها العين ، قالت عائشة : رضي الله عنها فجاءت تسأل رسول الله ﷺ في كتابتها ، فلما قامت على الباب فرأيتها كرهت مكانها ، وعرفت أن رسول الله سيرى منها مثل الذي رأيت ، فقالت يارسول الله : أنا جويرية بنت الحارث، وإنما كان من أمري ما لا يخفى عليك ، وإني وقعت في سـهم ثابت بن قيس بن شـماس ، وإني كاتبت على نفسي ، فجئت أسألك في كتابتي ، فقال رسول الله ﷺ: فهل لك إلى ما هو خير منه؟ قالت وما هو يارسول الله ؟ قال : أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك . قالت: قد فعلت قالت فتسـامع تعني الناس أن رسـول الله ﷺ قد تزوج جويرية فأرسلوا ما في أيديهم من السـبي، فأعتقوهم وقالوا أصهار رسـول الله ﷺ، فما رأينا امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها ، أعتق في سببها مائة أهل بيت من بني المصطلق ، قال أبو داود هذا حجة في أن الوالي هو يزوج نفسه [1].

وفي روايـة أخـرى توضح بعـض الجوانب الأخرى: عن عائشـة رضي الله عنها قالت: أصاب رسـول الله ﷺ سـبايا بنى المصطلق فأخرج الخمس منه ثم قسـمه بين الناس و أعطى الفارس سـهمين و الرجل سـهما فوقعت جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار في سهم ثابت بن قيس شماس الأنصاري ، و كانت تحت ابن عم لها يقال له صفوان بن مالك بن جذيمة، فقتل عنهـا فكاتبهـا ثابت بن قيس على نفسـها على تسـع أواق ، و كانت امرأة حلـوة لا يكاد يراها أحـد إلا أخـذت بنفسـه ، فبينـا النبي ﷺ عندي إذ دخلـت جويرية تسـأله في كتابتها ، فو الله مـا هـو إلا أن رأيتهـا حتى كرهت دخولها على النبي ﷺ، و عرفت أن سـيرى فيها مثل الذي رأيت فقالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه ، وقد أصابني من الأمر ما قد علمت، فوقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبني على تسع أواق في فكاكي فقال : أو خيرا من

(١) رواه أبو داود والترمذي ٢ / ٤١٥ ، رقم : ٣٩٣١ ، وحسنه محمد ناصر الدين الألباني بهامشه ، والبيهقي في السنن الكبرى ٩ / ٧٤ ، رقم : ١٧٨٥٢ .

ذلك؟ قالت : ما هو؟ قال : أؤدي عنك كتابتك و أتزوجك ؟ قالت : نعم يا رسول الله قال : فقد فعلت فخرج الخبر إلى الناس فقالوا : أصهار رسول الله ﷺ يسترقون ؟ فأعتقوا من كان في أيديهم من سبي المصطلق ، فبلغ عتقهم مائة أهل بيت بتزوجه إياها ، قالت عائشة : فلا أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها ، و ذلك منصرفه من غزوة المريسيع ، قال ابن عمر : فحدثني عبد الله بن أبي الأبيض مولى جويرية عن أبيه قال : سبى رسول الله ﷺ بني المصطلق، فوقعت جويرية في السبي فجاء أبوها فافتداها و أنكحها رسول الله ﷺ بعد ، وأما حديث محمد بن إسحاق فقريب من لفظ الواقدي و المعاني كلها واحدة.

قال ابن عمر : و حدثني عبد الله بن أبي الأبيض عن أبيه قال : توفيت جويرية بنت الحارث زوج النبي ﷺ في شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين في إمارة معاوية و صلى عليها مروان بن الحكم ، و هو يومئذ والي المدينة

قال ابن عمر : و أخبرني محمد بن يزيد عن جدته و كانت مولاة جويرية بنت الحارث عن جويرية رضي الله عنها ، قالت : تزوجني رسول الله ﷺ وأنا ابنة عشرين سنة .

قالت : توفيت جويرية سنة خمسين وهي يومئذ ابنة خمس وستين سنة وصلى عليها مروان بن الحكم .

قال ابن عمر : وحدثني حزام بن هشام عن أبيه قال : قالت جويرية بنت الحارث: رأيت قبل قدوم النبي ﷺ بثلاث ليال كأن القمر أقبل يسير من يثرب حتى وقع في حجري، فكرهت أن أخبر بها أحداً من الناس ، حتى قدم رسول الله ﷺ، فلما سبينا رجوت الرؤيا فلما أعتقني و تزوجني والله ما كلمته في قومي ، حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم ، و ما شعرت إلا بجارية من بنات عمي تخبرني الخبر فحمدت الله عز و جل[1].

ويقع بين النساء عادة بعض التغاير والكلام فيدافع عنها النبي ﷺ ويلقنها الجواب، فعن مجاهد قال : قالت جويرية بنت الحارث لرسول الله ﷺ: إن أزواجك يفخرن علي

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٦ / ٢٧٧ ،رقم : ٢٦٤٠٨ ، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ٤ / ٢٨ ، رقم : ٦٧٨١ .

، يقلن لم يتزوجك رسول الله ﷺ ، إنما أنت ملك يمين ، فقال رسول الله : «ألم أعظم صداقك ألم أعتق أربعين رقبة من قومك »[١].

الدروس والعبر المستفادة:

- التعامل النبوي والتحاور مع الناس يعتبر نبراساً يهدي إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم ، ولقد كان زواجاً ميموناً على عشيرتها.. فعندما خرج الخبر إلى الناس قالوا : أصهار رسول الله يسترقون؟ فأعتقوا ما كان في أيديهم من سبي بني المصطلق..[٢] وعندما علم أبوها بذلك أسلم وأسلم معه قومه ، فدخلوا في الأمن والأمن والسلام.
- تعامل النبي ﷺ الرفيق مع أعدائه ، فلم يقتلهم ولم يستأصلهم بل استصلحهم وتزوج سبيتهم وأعتقوا بسببها ودخل قومها كلهم في الدين والإيمان بحسن التعامل والعفو والصفح.
- الحوار النبوي يجب أن يتخذه القادة نبراساً يهدي إلى الحق ويجنب المجتمعات الأخطار التي تؤدي إلى نقمة الناس وغضبهم وما ينتج عنه اضطراب الأمن وشتات المجتمعات.

المثال الثالث

من أبرز الأعداء الذين ارتبط بهم قبل إسلامهم عدوه الأول أبو سفيان بن حرب سيد قريش ، لما أسلمت ابنته وهاجرت ، ثم تزوجها النبي ﷺ، فعن أم حبيبة : أن رسول الله ﷺ تزوجها وهي بأرض الحبشة زوجها النجاشي وأمهرها أربعة آلاف وجهزها من عنده وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة ولم يبعث إليها رسول الله ﷺ بشيء وكان مهر نسائه أربعمائة درهم[٣].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٤ / ٢٧ ،رقم : ٦٧٧٨ ، وسعيد بن منصور في السنن ١ / ٢٢٧ ، رقم: ٩٠٩ .

(٢) انظر جوامع الكلم ، ص ١٦١

(٣) رواه النسائي في السنن ٦/ ١١٩ ، رقم : ٣٣٥٠ ، وصححه الشيخ الألباني بهامشه ، ورواه النسائي في الكبرى ٣ / ٣١٥ ، رقم : ٥٥١٢ .

وهذا الزواج ارتباط وثيق يخفف العداوة في كثير من الأحيان إلى حد بعيد ، ولذا لما سمع أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه هذا الزواج الميمون قال: هو الفحل لا يقدع أنفه[1].

ولا غرو فأياً كان فإن غاية مراد الرجل أن يزوج ابنته من رجل كفؤ ، فكيف وقد تزوجها رجل كامل الرجولة يتمناه كل رجل لابنته وتتمناه كل امرأة أن يكون لها بعلاً ، ولذا لما رأت أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان مكارم أخلاق الرجل الكفؤ وكريم صفاته أحبت أن تشركها أختها في أن تكون تحت كنف هذا العظيم الكريم ، فعن عروة بن الزبير أن زينب بنت أبي سلمة أخبرته: أن أم حبيبة بنت أبي سفيان أخبرتها أنها قالت يارسول الله انكح أختي بنت أبي سفيان فقال :« أوتحبين ذلك ؟ . فقلت نعم لست لك بمخلية وأحب من شاركني في الخير أختي ، فقال النبي ﷺ: إن ذلك لا يحل لي . قلت : فإنا نحدث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة ؟ قال : بنت أم سلمة . قلت : نعم فقال: لو أنها لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي ، إنها لابنة أخي من الرضاعة أرضعتني وأبا سلمة ثويبة ، فلا تعرضن علي بناتكن ولا أخواتكن ، قال عروة : وثويبة مولاة لأبي لهب كان أبو لهب أعتقها ، فأرضعت النبي ﷺ فلما مات أبو لهب أريه بعض أهله بشر حيبة قال له ماذا لقيت ؟ قال أبو لهب لم ألق بعدكم غير أني سقيت في هذه بعتاقتي ثويبة»[2].

الدروس والعبر المستفادة:

- هذه الزواجات كانت سبباً لتخفيف الأذى عنه وعن أصحابه المسلمين ، وسبباً في تأليف قلبه وقلب قومه وعشيرته..هذا على صعيد واحد من العلاقات الاجتماعية المميزة مع من يعيش في مجتمعهم ومع من يريد أن يدعوهم إلى الله كجهة عامة في المهمة النبوية الكريمة ، والكلام على جميع علاقاته الاجتماعية يصعب حصره ويطول ذكره.
- العبرة الكبرى كذلك في هذا الخبر أن أبا لهب نفعه عمله ؛ لأنه أحسن إلى أم النبي ﷺ وهذا من فضل قرب أهل الخير والصلاح والإيمان .

(١) انظر تاريخ الأمم والملوك للطبري ٢ / ١٣٢ .

(٢) رواه البخاري ٥/ ١٩٦١ / رقم : ٤٨١٣ ، وذكر القصة بتمامها ابن كثير في البداية والنهاية ٢ / ٢٧٣ . وتاريخ الطبري ٢/ ١٣٢ ، عيون الأثر ٢/ ٣٩٣

• الحوار النبوي في هذه الأحاديث والأحداث يبين عظمة شخص النبي ﷺ وأنه رجل خير وأمن وسلام على الأسرة والفرد والمجتمع.

٣ ـ الحوارات النبوية مع جماعات المشركين في مكة

الحوار النبوي مع قريش علانية

جاء أمر الله عز وجل لرسوله ﷺ أن يصدع بما جاءه منه وأن يظهر دعوته للناس صراحة وعلانية ويدعوهم إلى الإسلام، وكان «بين ما أخفى رسول الله ﷺ أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين من مبعثه ثم قال الله تعالى له ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴿٩٤﴾ (الحجر)،وقال تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴿٢١٥﴾ (الشعراء) [(١)].

عند ذلك خرج النبي ﷺ إلى قومه معلناً دعوته كما ذكر ابْنُ عَبَّاس:«أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ إِلَى الْبَطْحَاء فَصَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ فَنَادَى: يَا صَبَاحَاهْ ! فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ حَدَّثْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُصَبِّحُكُمْ أَوْ مُمَسِّيكُمْ، أَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ تَبًّا لَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ إِلَى آخِرِهَا﴾ »[(٢)].

الدروس والعبر المستفادة:

• حاور النبي ﷺ قريشاً لأول مرة بشكل علني ودعاهم إلى الإيمان فأعرضوا عنه.

• الحوار جعل المشركين يقرون بصدق النبي أولاً ، ثم عرض عليهم دعوته وهذا من بديهة القائد الفذ.

• الحوار بعد هذا الموقف وهذه الدعوة العلنية أخذ يجدد تكاثر الداخلين في الإسلام وظهورهم في مكة على الملأ وانتشار الأخبار عن الإسلام وخروجها إلى خارج مكة عن طريق الوفود الآتية للحج والعمرة والتجارة.. عند ذلك حمي الصراع بين الفريقين، فعادت قريش إلى أبي طالب تشكو إليه محمداً .

(١) انظر الروض الأنف ،٢/ ٣ ، والمفصل ، ص ٢٦٤

(٢) رواه البخاري ٤/ ٨١ ، رقم: ٣٠٤١.

الحوار النبوي الجماعي مع رجال من قريش

مكث النبي ﷺ في قومه أربعين سنة قبل البعثة النبوية وعشراً بعدها يدعوهم فيها إلى التوحيد والإيمان، وقد تعددت المواقف والتجارب معهم، وفي سيرة ابن هشام قال: «اجتمع عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب والنضر بن الحارث بن كلدة أخو بني عبد الدار وأبو البختري بن هشام والأسود بن المطلب بن أسد وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان وأمية بن خلف أو من اجتمع منهم اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ثم قال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه، فبعثوا إليه: إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فأتهم، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداءٌ، وكان عليهم حريصاً يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم، حتى جلس إليهم فقالوا له: يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنكلمك، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء وعبت الدين وشتمت الآلهة وسفهت الأحلام وفرقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح إلا جئته فيما بيننا وبينك ـ أو كما قالوا له ـ فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه قد غلب عليك ـ وكانوا يسمون التابع من الجن رئياً ـ فربما كان ذلك بذلنا لك أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك.

فقال لهم رسول الله ﷺ: ما بي ما تقولون، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليَّ كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليَّ أصبرْ لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم..

قالوا: يا محمد فإن كنت غير قابل منا شيئاً مما عرضناه عليك فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلداً ولا أقل ماءً ولا أشد عيشاً منا، فسل لنا ربك الذي بعثك بما

بعثك به فليسيّرْ عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا، وليفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخ صدق فنسألهم عما تقول: أحق هو أم باطل، فإن صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله وأنه بعثك رسولاً كما تقول.

فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه: ما بهذا بعثت إليكم، إنما جئتكم من الله بما بعثني به، وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبرْ لأمر الله تعالى حتى يحكم الله بيني وبينكم..

قالوا: فإذا لم تفعل هذا لنا فخذ لنفسك: سل ربك أن يبعث معك ملكاً يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك، وسله فليجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي ؛ فإنك تقوم بالأسواق كما نقوم وتلتمس المعاش منا كما نلتمسه، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم.

فقال لهم رسول الله ﷺ: ما أنا بفاعل، وما أنا بالذي يسأل ربه هذا، وما بعثت إليكم بهذا، ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً ـ أو كما قال ـ فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم.

قالوا: فأسقط السماء علينا كسفاً كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ؛ فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل.

قال: فقال رسول الله ﷺ: ذلك إلى الله إن شاء أن يفعله بكم فعل.

قالوا: يا محمد أفما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ونطلب منك ما نطلب فيتقدم إليك فيعلمك ما تراجعنا به ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذ لم نقبل منك ما جئتنا به؟ إنه قد بلغنا أنك إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له: الرحمن، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً، فقد أعذرنا إليك يا محمد، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا، وقال قائلهم: نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله، وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً »[1].

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٣٢

الدروس والعبر المستفادة:

- الحوار النبوي مع علية القوم من قريش قادة العرب يدل على شخصية فذة قادرة على تحمل الضغوط الأدبية والاجتماعية والوقوف عند المبدأ الحق مهما كان الثمن.
- الحوار النبوي مع المشركين بين أن الملأ من قريش في المنهج نفسه الذي اتبعوه من قبل في عرض الإغراءات المادية المتنوعة على النبي ﷺ ليرجع عن رأيه ويترك دعوته، وهم يقدمون لعرضهم ذلك بمقدمة استباقية فيها لوم للنبي على ما أحدثت فيهم دعوته من فرقة وخصام بين فريقي الإيمان والكفر، وجدال داخلي بين فريق الكفر نفسه لا ينقطع حولها.
- الحوار النبوي بين الخلق الرفيع للنبي ﷺ والجدل العقلي والشرعي رغبة في دعوتهم إلى الإيمان ، وقد ردّ النبي ﷺ عليهم بأحسن جواب، فلم يجادلهم فيما عرضوا عليه أو يفند أقوالهم، فهو يعلم مسبقاً أنهم قوم خصمون مجادلون، ولكنه يجيبهم من أيسر طريق وأوضح مسلك: ما بي ما تقولون ! ثم ينفي عن نفسه طلب الدنيا ويبين حقيقة دعوته وأنها من عند الله، ولا يملك هو نفسه شيئاً إزاء هذا الأمر فهو مكلف بإبلاغه لهم، شاءوا أم أبوا، ويقطع النبي أملهم في إغرائه بشيء من متاع الدنيا .
- الحوار كشف أن قريشاً عجزت عن الحجج التي قدمها النبي ﷺ ، وعند ذلك احتد الحوار فصار جدالاً وطلباً للمعجزات المادية التي يلجأ إليها الضعفاء عادة لتعجيز المحاور وتحديه فيما يقول، وهنا نستذكر أن المسائل التي طلبوا من النبي الإتيان بها سجلها القرآن في آياته المنزلة على رسوله.

الحوار النبوي مع المستكبرين من المشركين

عانى الرسول ﷺ في دعوته وحواراته الدائمة وأكثر من عانى منهم صنف من المشركين المستكبرين المعادين للدعوة ولذلك أمثلة نقدم بعضها ، ومن ذلك:

عن عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى

ابْـنِ عَبْـدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَـا جِـبْرِيـلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَـمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِـئْتَ إِنْ شِـئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الأَخْشَبَيْنِ !! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً !!»[1].

الدروس والعبر المستفادة:

- الحوار النبوي في هذا الموقف عرض من طرف واحد حيث كان يعرض النبي دعوته على الناس ومنهم هذا الحي من العرب .
- الحوار لم يثمر نتيجة مباشرة معهم فقد طرد من قبلهم ويسمي العلماء هذا الصدود من المشركين كفر الإعراض والإباء ، وقد ذكر أنهم ردوا عليه أقبح رد[2].
- الحوار النبوي مع هؤلاء المستكبرين يكشف عن شخصية الرسول الصبورة المتأنية المتأدبة ، فلم يشتد معهم في الرد عليهم ولم يكلمهم في ذلك ورد على الملك أن يرجو الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله ، وبالفعل فقد قدم وفد ثقيف سنة عشر للهجرة مسلماً لله.

خامساً: الحوار النبوي مع المخالف المشرك المحارب

كما أسلفنا آنفا أن الحوارات النبوية تنوعت مع جميع أشكال المدعوين بين فرادى وجماعات بين مسلمين مستفهمين ومشركين مدعوين ، وشملت تلك الحوارات حتى الأعداء المحاربين ، وقد راسل النبي ﷺ البعداء من الأعداء كما أرسل عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس ، وسنضرب بعض تلك المشاهد والوقائع:

(١) رواه البخاري ٤/ ١٣٩ ، رقم: ٣٢٣١ ، ومسلم ٥/ ١٨١ ، رقم: ٤٧٥٤ والأخشبان: جبلان بمكة.
(٢) عمدة القارئ ٢٢/ ٤٨٢

الحوار النبوي مع المشركين في صلح الحديبية

بعد هزيمة الأحزاب دون قتال تطلع المسلمون إلى مكة، وجمع النبي ﷺ الجموع لأداء العمرة وزيارة بيت الله الحرام، ولكنهم حملوا معهم السلاح استعداداً للقتال إذا أصرت قريش على منعهم، وكان النبي ﷺ يريد كذلك أن يثبت للعرب جميعاً أن إرث إبراهيم وإسماعيل والبيت الحرام والحج والعمرة حق للمسلمين.

جاء في صحيح البخاري: «جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خُزَاعَةَ وَكَانُوا عَيْبَةَ نُصْحِ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَةِ وَمَعَهُمْ الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عَنْ الْبَيْتِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ وَإِنَّ قُرَيْشاً قَدْ نَهِكَتْهُمْ الْحَرْبُ وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ فَإِنْ أَظْهَرْ فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا وَإِلا فَقَدْ جَمُّوا، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي وَلَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ.

فَقَالَ بُدَيْلٌ: سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ، قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشاً قَالَ: إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلاً فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا فَقَالَ سُفَهَاؤُهُمْ: لا حَاجَةَ لَنَا أَنْ تُخْبِرَنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ، وَقَالَ ذَوُو الرَّأْيِ مِنْهُمْ: هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: أَوَلَسْتُ بِالْوَلَدِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَهَلْ تَتَّهِمُونِي؟ قَالُوا: لا، قَالَ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظَ فَلَمَّا بَلَّحُوا عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ اقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِيهِ، قَالُوا: ائْتِهِ، فَأَتَاهُ فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ نَحْواً مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ، فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَيْ مُحَمَّدُ، أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ، هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنْ الْعَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ؟ وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى فَإِنِّي وَاللَّهِ لأَرَى وُجُوهاً وَإِنِّي لأَرَى أَوْشَاباً مِنْ النَّاسِ خَلِيقاً أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: امْصُصْ بِبَظْرِ اللاتِ !! أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟ فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لأَجَبْتُكَ، قَالَ: وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ فَكُلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ

وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ الْمِغْفَرُ فَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِه إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ وَقَالَ لَهُ: أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، فَقَالَ: أَيْ غُدَرُ، أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرَتِكَ؟ وَكَانَ الْمُغِيرَةُ صَحِبَ قَوْماً فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَمَّا الإِسْلامَ فَأَقْبَلُ وَأَمَّا الْمَالَ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ.

ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنَيْهِ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللَّهِ نُخَامَةً إِلا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيماً لَهُ.

فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِه فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكاً قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّداً، وَاللَّهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِه وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيماً لَهُ وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: ائْتِهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِه قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَذَا فُلانٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبُدْنَ فَابْعَثُوهَا لَهُ فَبُعِثَتْ لَهُ وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلَبُّونَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ ! مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ قَالَ: رَأَيْتُ الْبُدْنَ قَدْ قُلِّدَتْ وَأُشْعِرَتْ، فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ.

فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ فَقَالَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: ائْتِه فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: هَذَا مِكْرَزٌ وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ مَعْمَرٌ: فَأَخْبَرَنِي أَيُّوبُ عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ، قَالَ مَعْمَرٌ قَالَ الزُّهْرِيُّ فِي حَدِيثِه: فَجَاءَ سُهَيْلُ ابْنُ عَمْرٍو فَقَالَ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَاباً، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْكَاتِبَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ وَلَكِنْ اكْتُبْ بِاسْمِكَ

اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: وَاللَّهِ لا نَكْتُبُهَا إلا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ : اكْتُبْ باسْمِكَ اللَّهُمَّ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنْ الْبَيْتِ وَلا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنْ اكْتُبْ مُحَمَّدُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَاللَّهِ إنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ: لا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إلا أَعْطَيْتُهُمْ إيَّاهَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَنَطُوفَ بِهِ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أَخَذْنَا ضُغْطَةً وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنْ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، فَكَتَبَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَى أَنَّهُ لا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إلا رَدَدْتَهُ إلَيْنَا، قَالَ الْمُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ ! كَيْفَ يُرَدُّ إلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِماً، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي قُيُودِهِ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إلَيَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ، قَالَ: فَوَاللَّهِ إذاً لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَداً، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَأَجِزْهُ لِي، قَالَ: مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ، قَالَ: بَلَى فَافْعَلْ، قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ قَالَ مِكْرَزٌ: بَلْ قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ، قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ: أَيْ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أُرَدُّ إلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِماً؟ أَلا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ؟ وَكَانَ قَدْ عُذِّبَ عَذَاباً شَدِيداً فِي اللَّهِ..»[1].

الدروس والعبر المستفادة:

- الحوار النبوي كان في هذا الموقف شاملاً للمشركين والمسلمين ، وإن كان الموقف العام كان متوجها للحوار مع المشركين.
- الحوار النبوي كان هادئاً راقياً حرص فيه النبي على المحافظة على حالة الأمن والسلام وإظهارها لأعدائه وأنه ما جاء لحرب إنما جاء للعبادة.
- الحوار النبوي أظهر أن قريشاً لم تكن تريد الحرب، ولم تكن مستعدة لها، ولكنها كانت تريد الحفاظ على شيء من كرامتها المعنوية ومكانتها بين العرب كما قال سهيل بن عمرو:«وَاللَّهِ لا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنْ الْعَامِ الْمُقْبِلِ» يعني العمرة.

(١) رواه البخاري في حديث طويل ٣/ ٢٥٣ ، رقم: ٢٧٣١، ٢٧٣٢ .

- الحوار كان من نتائجه أن صلح الحديبية كان فتحاً مبيناً للإسلام والمسلمين رغم شروط الصلح التي كان ظاهرها ضد المسلمين.
- الحوار النبوي في هذا الحدث أثبت أن الحوار مع غير المسلم جائز لتحقيق مصلحة المسلمين وحقن الدماء وحفظ الأموال، وأن المشركين والظالمين وأهل الأهواء إذا عظّموا أمر الله تعالى في شيء وجب إعانتهم فيما ظاهره الخير لعلهم يهتدون إلى الحق، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله من فوائد صلح الحديبية: «أن المشركين وأهل البدع والفجور والبغاة والظلمة إذا طلبوا أمراً يعظّمون فيه حرمة من حرمات الله تعالى أجيبوا إليه وأعطوه وأعينوا عليه وإن منعوا غيره، فيعاونون على ما فيه تعظيم حرمات الله تعالى لا على كفرهم وبغيهم، ويمنعون مما سوى ذلك.. وهذا من أدق المواضع وأصعبها وأشقها على النفوس، ولذلك ضاق عنه من الصحابة من ضاق»[1].

الحوار النبوي مع يهود خيبر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ شَاةٌ فِيهَا سُمٌّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اجْمَعُوا إِلَيَّ مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ يَهُودَ، فَجُمِعُوا لَهُ فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ، فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْهُ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، قَالَ لَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ: مَنْ أَبُوكُمْ؟ قَالُوا: فُلانٌ، فَقَالَ: كَذَبْتُمْ، بَلْ أَبُوكُمْ فُلانٌ، قَالُوا: صَدَقْتَ قَالَ: فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُ عَنْهُ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ وَإِنْ كَذَبْنَا عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي أَبِينَا، فَقَالَ لَهُمْ: مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟ قَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيراً ثُمَّ تَخْلُفُونَا فِيهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اخْسَئُوا فِيهَا، وَاللَّهِ لا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَداً، ثُمَّ قَالَ: هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، قَالَ: هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمّاً؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِباً نَسْتَرِيحُ وَإِنْ كُنْتَ نَبِيّاً لَمْ يَضُرَّكَ»[2].

(١) زاد المعاد: ٣ / ٢٦٧، ط١٤.

(٢) رواه البخاري ٤/ ١٢١ ، رقم: ٣١٦٩.

الدروس والعبر المستفادة:

- الحوار النبوي مع يهود كان بعد أن فتح الله تعالى معقلهم المحصن شمالي المدينة بما فيه من حصون وزروع وثمار.. فتحه للمسلمين بقليل من القتال والحصار.
- الحوار النبوي كان بعد ذلك الصلح وبعد أن أقام المسلمون أياماً وعادت العلاقات مع اليهود واختلطوا بالمسلمين لدرجة أن امرأة منهم أهدت شاة مصلية إلى رسول الله ﷺ ولكنها وضعت فيها سماً بعلم اليهود وتدبيرهم.
- الحوار النبوي يكشف عن سعة بال النبي ﷺ وعن نفسية اليهود وعقليتهم المبنية على الغدر والخيانة، مع أن أحد صحابة النبي ﷺ مات من ذلك السم الذي اكتشفه النبي ﷺ بوحي من الله بعد لقمة أو لقمتين.. مع ذلك لم يعاقبهم النبي ووفّى بالصلح الذي عقده معهم، وقد كانوا يستحقون القتل قصاصاً وعقوبة، لكنه لم يفعل لعلهم يعقلون.
- الحوار النبوي ابتدأ بإقرارهم بتساؤلات نبوية سأل عنها مرة بعد أخرى ليتأكدوا من صحة نبوته، وبعد أن يثبت ذلك لهم مراراً نراهم يجحدونه ويكذبون على الله ورسوله والناس جميعاً !
- لم يركن النبي إلى البطش والتنكيل كما يفعل بعض الزعماء ، وإنما أخذ بالعفو والصفح والحفاظ على الأمن والسلام على وقاحة يهود واتهامهم النبي ومن معه بدخول النار «اخْسَئُوا فِيهَا، وَاللَّهِ لا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَداً».

الحوار النبوي مع عمير بن وهب الجمحي

اتفق صفوان بن أمية بُعيد غزوة بدر مع عمير بن وهب الجمحي أن يخرج عمير إلى المدينة محاولاً قتلَ النبي ﷺ، فأمسك به عمر بن الخطاب حين رآه داخلاً المدينةَ وجاء به إلى النبي ﷺ فلما رآه وعمر آخذٌ بحمالة سيفه، قال: أرسله يا عمر، ودار هذا الحوار البديع الهادئ الذي أسلم عمير في نهايته.

قال النبي ﷺ: ادنُ يا عمير ، فدنا ثم قال: أنعموا صباحاً، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم.

فقال رسول الله ﷺ: قد أكرمَنا اللهُ بتحية خير من تحيتك يا عمير ؛ بالسلام تحية أهل الجنة.

قال: أما والله يا محمد إن كنتُ لحديث عهد بها.

قال: ما جاء بك يا عمير؟

قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم، فأحسنوا فيه.

قال: فما بالُ السيف في عنقك؟!

قال: قبّحها الله من سيوف ! وهل أغنت شيئاً !

قال: اصدقني بالذي جئت لـه.

قال: ما جئت إلا لذلك.

فقال ﷺ: بلى، قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحِجْر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلتَ: لولا دين عليّ وعيالي لخرجتُ حتى أَقتل محمداً فتحمّل لك صفوان بدينك وعيالك، على أن تقتلني له، والله عز وجل حائل بيني وبينك.

فقال عمير: أشهد أنك رسول الله ؛ قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي ؛ وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ؛ فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله ؛ فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق، ثم تشهد شهادة الحق ؛ فقال رسول الله ﷺ: فقّهوا أخاكم في دينه، وأقرئوه وعلموه القرآن وأطلقوا له أسيره»[1].

الدروس والعبر المستفادة:

- الحوار النبوي يبين مكانة أخلاق النبي ﷺ العظيمة وكيف يعفو عند المقدرة، وأن أخلاقة ليست كأخلاق السلاطين والزعماء الذين يسارعون إلى الجزاء والحساب سريعاً.

(١) انظر تاريخ الطبري: ٢/ ٤٧٣-٤٧٤، وابن هشام: السيرة النبوية: ٢/ ٤٨٧

- الحـوار النبـوي كان وهـو يحقـق مع خصم محـارب يدعوه بأسـلوبه الراقي إلى التوحيد والإيمان ، وكان له ما أراد ، فقد بعث رحمة مهداة.
- في محـاورة الخصـوم بالرقـي والتفاهم ما ينزع عنهم ضغينـة الأحقاد وجعلهم ينزعون إلى الأمن والسلام ، وهو ما تهدف له رسالة الإسلام.

الحوار النبوي مع أعرابي مشرك محارب

تعددت محاولات المشركين قتلَ رسول الله ﷺ ظناً منهم أن دعوته ستموت بموته أو قتله، ولكن الله تعالى تعهّد لرسـوله بحفظ حياته من أولئك بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُـولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴿٦٧﴾ (المائدة) .

ومن هذه المحاولات المتعددة ما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله أنه قال: «غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةً قِبَلَ نَجْد، فَأَدْرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاه، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَعَلَّقَ سَيْفَهُ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، قَالَ: وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْوَادِي يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّـجَرِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ رَجُلاً أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ فَأَخَذَ السَّـيْفَ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي، فَلَمْ أَشْـعُرْ إِلا وَالسَّـيْفُ صَـلْتاً فِي يَدِه فَقَـالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ فِي الثَّانِيَةِ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ، قَالَ: فَشَـامَ السَّيْفَ، فَهَا هُـوَ ذَا جَالِسٌ، ثُمَّ لَمْ يَعْـرِضْ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ»(١).

الدروس والعبر المستفادة:

- الحوار النبوي مع عدو مشرك محارب لم يمنع الرسول من أن يعامله بالحسنى ، ولم يطلق لنفسـه العنان ويقتل أو يأمر بقتله –وهو مسـتحق لذلك– لكنه عامله بالرفق ، فهو رسول الرحمة للناس أجمعين.
- عـلى القـادة أن يتعلموا من رسـول الرحمة خلق العفـو والصفح فإن ذلك أكبر وسـيلة لتهدئـة النفوس واسـتتباب الأمن والسـلام ، وخليق بالنفـوس أن تميل بحب واتباع من أحسن إليها.

(١) رواه البخاري ٤/ ٤٨ ،رقم: ٢٩١٠ ، ومسلم ٧/ ٦٢ ، رقم: ٦٠٩٠ .

الحوار النبوي مع أسير مشرك

وهـذا أسـير مشرك تأتي به خيل المسـلمين، وكان ذا مكانـة في قومه، فكيف عامله النبيﷺ ؟

جـاء في الحديـث عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْلاً قِبَلَ نَجْد فَجَاءَتْ بِرَجُل مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَال، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَة مِنْ سَوَارِي الْمَسْجد، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَم وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِر وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِر، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، فَقَالَ: أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ !

فَانْطَلَقَ إِلَى نَخل قَرِيب مِنْ الْمَسْجد فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجدَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ لا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الأَرْض وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِين أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَد أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلادِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ؟ قَالَ: لا، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّد رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلا وَاللَّهِ، لا يَأْتِيكُمْ مِنْ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ»[1].

الدروس والعبر المستفادة:

- الحـوار النبـوي مـع عدو مشرك محـارب لم يمنع النبي من أن يحاوره بالحسـنى وأن يعفو عنه حيث كان شغل النبي ﷺ الشاغل أن يسلم الناس لرب العالمين
- الحوار بين تلطف النبي ﷺ في معاملة الأسير المشرك، وخاطبه خطاباً رقيقاً، ولم يلمه أو يعنفه.. بل أطلق سراحه بعد أن رأى الرجل في المسجد النبوي من الخير

(١) رواه البخـاري ٥/ ٢١٥ ، رقـم: ٤٣٧٢ ، ومسـلم ٥/ ١٥٨ ، رقـم: ٤٦٨٨ ، ويقـال: صبـأت وصبوت وصبأ: خرج من دينه، وكان أهل مكة يطلقون اللفظ في أول الإسلام على من يسلم.

ما رأى، من الصلاة والذكر والدعاء والوعظ والتحابّ والتراحم بين المسلمين، فما لبث أن دخل الإسلام قلبه.

- في الحوار النبوي مع هذا الرجل دليل على أن العفو عند المقدرة هي أبرز صفات القائد الناجح الذي يريد تحقيق أهدافه كالاستجابة إلى دعوات الإيمان والأمن والسلام.

الخاتمـــــــة

الحمد لله وكفى وصلاة وسلاماً على عباده الذين اصطفى وبعد فأشكر الله تعالى على نعمة إتمام هذا البحث وفي هذه الخاتمة أود أن ألخص أهم ما توصلت إليه من نتائج وهي:

- علمنا أن الحوار يجري بين المتحاورين من تردد الكلام ووجهات النظر للوصول إلى حد من التفاهم والالتقاء.
- أن الغاية من الحوار تهدف إلى الوصول إلى الحق. والأخذ بأرجح رأي. إذ قد تتعدد الآراء وتقريب وجهات النظر وتضييق هوة الخلاف.
- علمنا أن من الأصول العقدية والشرعية والعامة في الحوار : تحديد أصل الإشكال الذي يجمع بين الأطراف المتحاورة. الاتفاق على أصل يرجع إليه . مناقشة الأصول المختلف فيها قبل الفروع.
- أن الحوار النبوي كان مع المخالف والمستفهم المسلم ، وكانت الحوارات على نوعين: الحوارات مع الأفراد والحوارات مع الجماعات وكانت هذه الحوارات تهدف إلى الدعوة إلى الإيمان واتباع الشرع والحفظ على أمن المجتمع وسلامة بيضة المسلمين جملة.
- شمل الحوار النبوي شأناً كبيراً مع المخالف والمستفهم من أهل الأديان وكان في جملته مع صنفين منهم وهو اليهود والحوار معهم أكثر والنصارى ، وقد اشتمل الحوار على الدعوة إلى الإيمان وقضايا أخرى كأمن المجتمع ومستقبل الأمة.
- كذا شمل الحوار النبوي مع المخالف المشرك ، وكان هذا الحوار مع أفراد من المشركين ، وكذا مع المجتمع المشرك ومع جماعات من المشركين ، وكان يهدف

منها إلى الدعوة إلى التوحيد وإلى إقامة العلاقات الاجتماعية معهم بغية الوصول إلى السلام وتأمين المجتمع المسلم ونشر قناعاته الشرعية.

- الحـوار النبـوي مع المخالف المـشرك المحارب كان من أبرز مراحل دعوة النبي وكان الحـوار مـع جماعـات محاربة وأفـراداً ، وكان النبي يهدف منـه إلى التوحيد أو إلى تأمين المجتمع الإسلامي أو إحلال السلام بين الناس.
- من فوائد الحوار بيان الارتباط الوثيق بين الأمن والسلام وانتشار دعوة التوحيد والإيمان ، والعكس صحيح.

المصادر والمراجع

ـ الإتقان في علوم القرآن، أبو بكر عبدالرحمن بن الكمال السيوطي، ط٤، الحلبي، القاهرة، ١٣٨٩هـ / ١٩٧٨م.

ـ البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ت: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الاولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

ـ تاج العروس من جواهر القاموس، للفيروز آبادي، دار الفكر، بيروت.

ـ تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧.

ـ تفسير القرآن العظيم، للإمام أبي الفداء اسماعيل بن كثير، دار الفكر، بيروت، وطبعة دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م.

ـ الجامع الصحيح، محمد بن عيسى الترمذي، مراجعة: أحمد محمد شاكر، وآخرون، دار إحياء التراث الإسلامي (بيروت)/

ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١ عالم الكتب، الرياض ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣ م.

ـ الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى البغا، دار ابن كثير (بيروت) ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

ـ الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله.

ـ الروض الأنف في شرح غريب السير، المؤلف: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي المتوفى سنة ٥٨١.

ـ زاد المعاد لابن قيم الجوزية، ط١٤ مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦م.

ـ سنن سعيد بن منصور، سعيد بن منصور، الطبعة: الأولى، ١٤١٤.

ـ سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ).

ـ سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، دار الكتب العلمية،

بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ / ١٩٩١ ، تحقيق : عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن.

ـ سنن ابن ماجه ، للإمام محمد بن يزيد القزويني البغدادي ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر (بيروت) .

ـ السنن الكبرى ، أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، مكتبة الباز (مكة) ١٤١هـ/ ١٩٩٤م.

ـ السنن ، سليمان بن الأشعث السجستاني ، مراجعة:محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر.

ـ السيرة النبوية لابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد ، ت: طه عبد الرءوف سعد ، ت: دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١١ .

ـ صحيح ابن خزيمة ، محمد بن إسحاق بن خزيمة ، ت: محمد الأعظمي ، المكتب الإسلامي، ١٣٩٠هـ.

ـ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، للإمام محمد بن حبان التميمي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة (بيروت) ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

ـ صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.

ـ صحيح مسلم ، لمسلم بن الحجاج النيسابوري ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي(بيروت) ١٣٧٤هـ ١٩٥٤م.

ـ الطبقات الكبرى لابن سعد ط دار الفكر- بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ، ط دار المعرفة ـ بيروت ١٣٧٩هـ.

ـ كتاب التوحيد ، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ، ت : عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان ، مكتبة الرشد ـ الرياض، الطبعة : الخامسة ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، بدر الدين العيني الحنفي ، قام بتنسيقه وفهرسته أسامة بن الزهراء .

ـ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، تأليف : محمد بن عبد الله بن يحيى ابن سيد الناس.

ـ غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام للقرضاوي ، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ.

ـ لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت ، الطبعة الأولى

ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، دار الفكر ، بيروت، ١٤١٢ هـ.

ـ المستدرك على الصحيحين ، محمد بن عبد الله الحاكم ، ت: مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ١٤١١هـ (بيروت) .

ـ المسند للإمام أحمد بن حنبل ، مؤسسة قرطبة بمصر (عن النسخة الميمنية).

ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، المكتبة العلمية – بيروت .

ـ المعجم الأوسط ، سليمان بن أحمد الطبراني أبو القاسم، تحقيق: حمدي السلفي ، مكتبة دار العلوم والحكم (الموصل) ١٤٠٤هـ.

ـ المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي ، دار الساقي ، الطبعة الرابعة. ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.